الخُطُواتُ المَيسورةُ
إلى الكتب السّتة المَشهورة

د. حمزة بن فايع الفتحي

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات ١
الباكورة ٣
(١) الاستلهامُ التاريخي بمعرفة سير هؤلاء الأئمة: ١٧
(٢) تكوين الشغف الحديثي بحضور دروس المحدثين ، ومطالعة علومهم وسننهم وطرائقهم : . ٣٥
(٣) البدء بمختصرات السنة المجردة بلا أسانيد:..... ٤٠
(٤) استلهامُ مناهجهم الحديثية في التأليف، وطرائق التبويب والتصنيف ودواعي ذلك كله : . ٤٤
(٥) التقييد المبدئي لفوائد الصحيحين والسنن، المتضمنه للمعاني الجميلة والأحكام الطريفة، والقصص النادرة، والسنن المهجورة، أو ما نسميه (الفهرسة العلمية العملية): ٥٢
(٦) الإشاعةُ المعرفية بفضل السنة وأهميتها: ٥٩
(٧) الإحياءُ العملي لفرائد السنن وبدائعها، والإحاله لمصادرها: ٦٣
(٨) التثقيفُ الموسمي والاحتياجي بالأحاديث الستة :..... ٦٨
(٩) عقدُ اللقاءات الحديثية (قراءة وتعلما، ونقاشًا، وشرحًا، وتحليلاً): ٧١
(١٠) فرزُ الأحاديث الصغيرة وجوامع مع الكلم، وما لايتجاوز السطرين وتكرارها لترسخ في الذهن وتُطبع في النفس: ٧٥

(١١) القراءةُ الخاطفة السريعة للكتاب، بحيث يفرغ منه في وقت قصير: ٧٨

(١٢) تكوينُ الوعي الشمولي بالسنة دينًا، ودنيا، ومعلمًا حضاريًا للأمة : ٨٣

(١٣) القراءةُ التأملية الجهورية، ذات الأناة العميقة، والذهنية المتوقِّدة: ٨٨

(١٤) صياغةُ السنن الثابتات دعويًا ووعظيًا وفكريًا، بحيث تتحولُ إلى شكل توجيهي محاضري، يسمى (المحاضرة الحديثية): ٩١

(١٦) الاستماع الصوتي المتوالي للمتون الحديثية وشروحها وقضاياها الاصطلاحية: ١٠١

(١٧) الذاكرةُ الواعية والاستيعاب الضبطي للمتون المختاره، والمختصرات الدانية، والأسانيد المشهورة: ١٠٦

(١٨) الجهدُ المؤسسي للكليات والمعاهد والسنية المختصة، والهيئات والمؤسسات المهتمة بقضايا السنة والدفاع عنها : ١١٣

الباكورة

الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد...

فإن الكتبَ الحديثية من أجلِّ موروثنا الديني والتاريخي والثقافي، التي نفاخر بها، ونتعززُ بها بين الأمم، ولقد كتب الله لهذه الكتب الخلود والقبول، وتلقاها الناس تلقياً جميلاً، واعتنوا بها وحفظوها، ودرسوها في المساجد والجامعات، ونالت (الكتب الستة) منها على الخصوص، بالقبول التام والحظوة الكبرى، والاهتمام البالغ، مما نتجَ عن ذلك شروحاتٌ وتعليقات وحواشٍ، تكشف أسرار تلك الأمهات العظام، وتجسد لوناً من يقظة المسلمين العلمية، وهمم جهابذة الإسلام الذائعة، التي كانت معلماً بارزاً بين الأمم، ومنارة مضيئة، تخطف الأبصار، وتأخذ

الألباب، وتكتب العجب والحيرة في أذهان الأعداء، وتعلن الخضوع والإجلال من أفواه المنصفين.

ولذلك ذاعت هذه الكتبَ وانتشرت وحظيت بالقبول لا سيما الصحيحان ، والأخرى ازدانت بالشهرة والحفاوة العلمية .

يقول الإمام النووي - رحمه الله - :

" اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخاري ومسلم وتلقتهما الأمة بالقبول ".(١)

وقال الإمام أبو عمرو بن الصلاح في كتابه في علوم الحديث:

" أول من صنف في الصحيح البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل وتلاه أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ومسلم مع

(١) شرح صحيح مسلم ١٦/ ١.

أنه أخذ عن البخاري واستفاد منه فإنه يشارك البخاري في كثير من شيوخه وكتاباهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز "[1].

وذكر أبو عمرو بن الصلاح بسنده إلى إمام الحرمين الجويني أنه قال :

" لو حلف إنسان بطلاق امرأته أن ما في كتابي البخاري ومسلم مما حكما بصحته من قول النبي صلى الله عليه وسلم لما ألزمته الطلاق ، ولا حنثته ، لإجماع علماء المسلمين على صحتهما(٢).

ولابن الصلاح رحمه الله أيضًا في مقدمة علوم الحديث :

وَكَذَلِكَ مُطْلَقُ قَوْلِ الْحَافِظِ أَبِي نَصْرٍ الْوَايْلِيِّ السِّجْزِيِّ : " أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ - الْفُقَهَاءُ وَغَيْرُهُمْ - عَلَى أَنَّ رَجُلًا لَوْ حَلَفَ بِالطَّلَاقِ أَنَّ جَمِيعَ مَا فِي كِتَابِ الْبُخَارِيِّ مِمَّا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(٢) مقدمة ابن الصلاح ص ٨٤

(٣) المصدر السابق ص٩٥

وَسَلَّمَ - قَدْ صَحَّ عَنْهُ ، وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَهُ لَا شَكَّ فِيهِ ، أَنَّهُ لَا يَحْنَثُ وَالْمَرْأَةُ بِحَالِهَا فِي حِبَالَتِهِ "(١) .

وَكَذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُمَيْدِيُّ فِي كِتَابِهِ " الْجَمْعِ بَيْنَ الصَّحِيحَيْنِ " مِنْ قَوْلِهِ : " لَمْ نَجِدْ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمَاضِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - أَجْمَعِينَ مَنْ أَفْصَحَ لَنَا فِي جَمِيعِ مَا جَمَعَهُ بِالصِّحَّةِ إِلَّا هَذَيْنِ الْإِمَامَيْنِ " (٢).

وقال الخطيب البغداديّ مبيناً شرف أصحاب الحديث: «فقد جعل ربّ العالمين الطّائفةَ المنصورة حرّاسَ الدّين، وصرف عنهم كيد المعاندين؛ لتمسّكهم بالشّرع المتين، واقتفائهم آثارَ الصّحابة والتّابعين. فشأنُهم: حفظُ الآثار، وقطعُ المفاوز والقفار، وركوبُ البراريّ والبحار، في اقتباس ما شرع الرّسول المصطفى، لا يعرّجون

(١) مقدمة ابن الصلاح ص٩٥

(٢) المصدر السابق ص٩٥

عنه إلى رأيٍ ولا هوًى، قبِلوا شريعتَه قولًا وفعلًا، وحرسوا سنّته حفظًا ونقلًا، حتّى ثبّتوا بذلك أصلَها، وكانوا أحقّ بها وأهلَها.

وكم من ملحدٍ يَروم أن يَخِلط بالشّريعة ما ليس منها! واللّهُ تعالى يذبّ بأصحاب الحديث عنها؛ فهم الحفّاظ لأركانها، والقوّامون بأمرها وشأنها، إذا صُدِف عن الدّفاع عنها فهم دونها يناضلون، {أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(١).

وقد حاز أولئك الأئمة ذلكَ الشرف والمكانة ، وذاع صيتهم في كل مكان، وباتت كتبهم المرجع الشرعي والسلوكي والحكمي في الإسلام، ولا يزال ينهلُ منها الى عصرنا الراهن.

وكذا هي ثروتنا، وكذا هو تراثنا الخالد الذي جاء به رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، نزل بالقرآن من ربه تعالى غضا طرياً

(١) شرف أصحاب الحديث ، للخطيب البغدادي ،ص١٠

، وكشف معالمه وأصوله وتشريعاته بسنة غراء فاض بها لسانه من لدن ربه وعاشها قلبه، فكانت البيان الشافي، والخطاب الكافي في جامعة هذا الإسلام العظيم، وتلاوة مجده وعمقه وفضله ومحاسنه.

إنّ هذه (الكتب الستة الخلّص) جزء من سنة علياء كريمة، نقلها رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، وحدث بها صحابته الأجلاء، وتلقاها تلامذته بكل حب وصيانة وصفاء لأنها وحي رباني، وتوجيه إلهي، ألقاها الله تعالى على رسوله ليظهر فضله، ويجلّي نبوته ويحقق صدقه ودعوته.

وقد صح قوله صلى الله عيه وسلم كما عند أبي داود (إلا إني أوتيت القرآن ومثلَه معه).

وعند أبي داود أيضاً، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي).

وهذا الحديثان كافيان في الاهتمام الإسلامي العجيب، من الأئمة الكبار والمشايخ الأفاضل، الذين لم يألوا جهداً في خدمة السنة ومحبة الآثار، وحمل الأحاديث من مكان إلى آخر، بلا كللٍ أو كسل وتوجع، بل كان الشوق حاديهم، والحب سائقهم، والتضحية رائدهم، وتفجرت رحلاتهم وتجاربهم بعظيم المواقف والشدائد والأسفار التي لم تحدث لأمة سواهم من الأمم، وهؤلاء هم صيارفة الحديث، وجهابذة السنة، الذين شُغفوا بمحبة النبي صلى الله عليه وسلم وسنته وآثاره، فكتبوا فيها كتباً، ولازالت أعمالهم وجهودهم متوارثه جيلاً فجيلاً، تصنيفاً وتأليفاً ، وشرحاً وتحقيقاً وتعليلاً، جزاهم الله خير الجزاء، وشكر سعيهم وجهادهم.

إن الجهدَ العظيم لهذه الأمة المباركة محل إجلال الأنام، وعجب الأعداء، والجهد الحديثي المبذول من أئمة السنن والأثر على الخصوص، شيئ يحارُ منه الإنسان وينقطع تجاهه الشيطان...!

ولو كتب المرءُ جهدَ محدثٍ، سار وانقطع وحفظ وجد، وألف وحقق، وآخر حفظ وروى، ودرس وأملى، وألقى وارتحلَ، لما كفته مجلدات طويلات، ولألفى ذلك مساحةً شاسعةً في حياة رجالات الحديث النبوي لا ينتهي عند عصر، ولا ينقص بحياة جيل واحد، بل هي سلاسل متتابعة وطبقات متوالية وقرون متلاحقة، مستغرقة بالجد والعمل، والبذل والمصابرة، والسبق والجهاد، وكتب التراجم المتوافرة وصف لا ينتهي، لمسار المحدثين الفدائي، الذي يعجب منه كل مطالع وقارئ.

وقد كان من نتاج المحدثين العظيم مصنفاتهم الذهبية، ودررهم الفاخرة : (الكتب الستة المشهورة) التي هي كتبُ

الإسلام، ودواوين السنة المشتهرة، ومصنفاتها المعتمدة، والتي هي منارهُ كل عالم، ووجهةُ كل فقيه وباحث، ولابد لطالب العلم والحديث من مطالعتها وفهمها، وتقليبها من حين لآخر، فهي تيجان زاهية، وعقود لامعة، تُزيَّن بها المكتبات، وتطيب بها المجالس والحلقات.

يقول الحافظ المزي في مقدمة كتابة في معرض حديثه عن كتب السنة :" وكان من أحسنها تصنيفا ، وأجودها تأليفا ، وأكثرها صوابا ، وأقلها خطأ ، وأعمها نفعا ، وأعودها فائدة ، وأعظمها بركة ، وأيسرها مؤونة ، وأحسنها قبولا عند الموافق والمخالف ، وأجلها موقعا عند الخاصة والعامة: صحيح أَبِي عَبد اللَّهِ مُحَمَّد بْن إسماعيل البخاري ، ثم صحيح أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ، ثم بعدهما كتاب السنن لأبي داود سُلَيْمان بْن الأشعث السجستاني ، ثم كتاب الجامع لابي عِيسَى مُحَمَّدُ بْنُ

عِيسَى التِّرْمِذِيّ ، ثم كتاب السنن لابي عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبِ النَّسَائي ، ثم كتاب السنن لأبي عَبد الله مُحَمَّد بْن يزيد المعروف بابن ماجة القزويني وإن لم يبلغ درجتهم "(١). انتهى

ولعظم تلك المصنفات، انصرفت إليها هِممُ العلماء بالشرح والايضاح، والحلِّ والإفصاح، فمنهم من أبانَ معانيها، ومنهم من فك أسرارها، ومنهم من عالج وضع رجالها، ومنهم من اهتم بلغوياتها، وآخر تخريجها وعللها، أو شروطها ومناهجها.

وما أحبُّ إضافته هنا هو محاولة تيسيرها للقراء، وتقريبها للمطالعين، لأنه والحال أنها مسندة مكررة، تعزُّ على بعض ضعيفي الهمم، ومخدوشي العزائم، فيخافون أصولها، ويتهيبون منابعها، وربما لجأوا إلى مختصراتها، التي قد يعوزها

(١) تهذيب الكمال، للمزي، ١/ ١٤٧

شئ من الدقة والانتظام، فيقعون في تخريج مختل، أو نص متصرَّف فيه، أو تعليق غير دقيق، وهلُمَّ جرا.

ونحاول في هذه الرسالة القصيرة، أن نرسمَ بعضَ الخطوات الميسورة، للاستفادة من تلكم الكتب المشهورة، التي حقها القراءة، والسرد، والجرد، وليس الخوف، والهجر، والتباعد ، لأنها عصارةُ رحلات أكابر المحدثين كالبخاري أبي عبدالله، ومسلم أبي الحسين، وأبي داود السِجستاني، وأبي عيسى التِرمذي وأبي عبد الرحمن النَسائي ، وأبي عبدالله ابن ماجة القزويني، رحم الله الجميع، وأجزل مثوبتهم.

وأشكرُ كلَّ من نبه وأفاد في هذا الباب ، كالشيخين الفاضلين، الشيخ عبد المحسن العباد، والشيخ الدكتور عبد الكريم الخضير، حفظهما الله، وقد طالعت ما كتبا حول ذلك في المواقع الالكترونية.

ولبعض العلماء والمحدثين المعاصرين، لمحات في هذا الباب، ولكنها متناثرة بين دوراتهم وشرائطهم العلمية.

وأعتقدُ أنه من الأهمية بمكان، إفراد هذا (المسار العلمي) بشكل من التأليف الجاد، والمحاضرة المفيدة، التي تسهل فنونَ التعامل مع الكتب السنة المعتمدة، لاسيما الصحيحان ابتداءً، ثم السنن الأربعة، إكمالاً واهتماما.

من المؤسف أنك قد تجد عالماً ضليعاً، ولكنه أبعد ما يكون عن قراءة البخاري ومسلم أو لم يجرب قراءتهما قط، وهذا في نظري نقصانٌ مزرٍ، وإهمال مَشين، لأن هذين الكتابين من الأهمية بمكان، ومن الدين بمقام، ومن العلم بمنزلة، فكيفَ يتقاعس حملةُ العلم عن مطالعتهما وقراءتهما القراءة السريعة، التي تصقل الذهن، وتشرح الفوآد، وتوقف الفقيه على مظان الأحكام، والعلل، والاستنتاجات...

وتارةً قد تجد محدثاً ومهتماً بالمتون الستة عبر كتب الجوامع كجامع الأصول أو جامع المسانيد، أو الجامع الكبير أو جامع الكتب الستة، وهي جهود مشكوره، ولكن لا أتمَّ ولا أحسن، من الوقوف على الحديث من مصدره الأصلي، بحس مؤلفه، ونظمه وترتيبه واختياره، وهو ما نحاول تجليته في هذه الرسالة.

والكتبُ الستة عمادُ الإسلام، ومنارته الوضاءة، ولا يسوغُ خلوٌّ مكتبة منها، بل لابد من امتلاكها، وسردها وتأمل معانيها، فهي كنوزٌ وافرة، وسبائك باذخة، لا يهملها إلا مفرط، ولا يضيعها إلا كسلان.

والعنايةُ بها علامةُ النضج الحديثي، وآيةُ الإيمان العميق، والولاء النبوي الصادق، والدراية الفقهية، وكل آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم محل اهتمام المسلم وحبه وعنايته، وللستة الحسان أوفى النصيب، وأكملهُ، وأجمله، لأنها بنيان السنة، ومشكاة الآثار،

ومقومات الفقه الصحيح، وخزانة التشريع الحكيم. فإلى تلك (الخطوات الميسورة إلى الكتب الستة المشهورة) ، سائلاً الله تعالى العون والتسديد ودوام الإصابة والتوفيق. (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب).

القاهرة

١٩ / صفر ١٤٣٠هـ

١٢/ ٢/ ٢٠٠٩م

(١) الاستلهامُ التاريخي بمعرفة سير هؤلاءِ الأئمة:

هذا سبيلٌ مهم إلى فهم وإدراك عمق تدينهم وإخلاصهم، وسبر غور هممهم وجهادهم، ولأن إدراكَ سمو الأشخاص، طريق إلى بحثهم وتلمس آثارهم من مصنفات ومقالات وهذا شئ محسوس ومدروك في أكثر الشخصيات الرفيعة واللامعة، ولايزال الذهن النابه يهتم بمثل ذلك، ويبحثه ويسأل عنه، والأئمة الستة رحمهم الله تعالى، حظوا بمكانة مرموقة في الحس المسلم، وفي المكتبة الإسلامية بفضل طموحهم وسننهم التي خلفوها.

فمن يسمع عن جلالة الشيخين وعلو كعب صحيحيهما، لابد أن يدفعه ذلك إلى نبش سيرهم وتأملهما، واكتشاف مقومات الإبداع فيها، وأن ذلك السفر النفيس، لم يأت إلا عبر مقدمات روحية، وعلمية سلكها ذلك المحدّث، فأورث الله له ما أورث.

تصور أن (مقولةً صغيرة) يلفظ بها والد البخاري رحمه الله عند وفاته تنعكس على عقبه من بعده، ويكون لها عظيم الأثر على الأبناء والذرية، مقولة والده إسماعيل: (لا أعلم في مالي درهما من حرام ولا من شبهة). [1]

وتنتقل خصلة (الورع والتقوى) إلى ابنه محمد، فيظهر من مكانة التدين، وطهارة النفس ما لايكاد يخفى !

وأيضاً والدة البخاري كانت امرأة صالحة، وهي التي تولت تربية محمد بعد وفاة والده وهو صغير، وقد فقد بصره فألحت على الله في الدعاء أن يشفي صغيرها، فرأت في المنام وهي نائمة إبراهيم الخليل عليه السلام، فقال لها : (يا هذه قد رد الله على ولدك بصره، بكثرة دعائك وبكائك). [2]

---

[1] سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ١٢/ ٣٩٣

[2] المصدر السابق ، ١٢/ ٣٩٣

ففرحت بذلك فرحاً شديداً، وانقلب حزنها نعمةً وسروراً.

وقد بدَت علامات النبوغ والذكاء على البخاري من صغره، ورُزق ذكاء وحافظة واعية، لا تأتي على شئ إلا التهمته التهاما ، وقد سئل هو عن علاَج النسيان فقال : (إدامة النظر)[1] وهي عبارة توحي بامتلاك مقدمات الجد والعزيمة، والإصرار لمن كان يطلب العلم، ويحرص عليه، فأين طلبة العلم، الظانون أن الأئمة الأكابر، قذف فيهم العلم قذفاً بلا جد وتعب ومَسغبة؟!!.

واشتهر رحمه الله بالرحلات الكثيرة، واختراق الآفاق، ومكث في تصنيف صحيحه (ستة عشر عاماً)، يجمعه، ويحرِّره، ويرتبه، ويتفقه فيه. وقد عاش الفقر والفاقة، حتى إنه لم يستطع الخروج

---

[1] جامع بيان العلم لابن عبد البر (٢٤١٤) .

لمجلس العلم، وافتقده أصحابه، فإذا هو عريان فجمعوا له دراهم، وكسوه ثوباً.. [1]

وقد بلغ من البراعة والشرف والإتقان، ما جعل أشياخه يقرون له بذلك، حيث فاقهم حفظاً وفهماً وإتقاناً، وقد كان يقول: (ما استصغرتُ نفسي عند أحد كعلي بن المديني) فلما علم ابن المديني قال: (دعوه فإنه ما رأى مثل نفسه) [2].

وقد قال الحافظ في مقدمة الفتح: (ولو فتحت باب الثناء عليه ممن تأخر عن عصره لفني القرطاس، ونفِدت الأنفاس، فذلك بحر لا ساحل له) [3].

---

(١) تاريخ بغداد ،الخطيب البغدادي ، ١٣/٢.

[2] فتح الباري ، لابن حجر،١/ ٤٨٣

[3] المصدر السابق ١/ ٤٨٥

ومن كلماته الرائعة :

يقول رحمه الله: "لا أعلم شيئًا يحتاج إليه إلا وهو في الكتاب والسنة".وقال: "ما وضعت في كتاب الصحيح حديثًا ، إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين". وقال: "ما أردت أن أتكلم بكلام فيه ذكر الدنيا ، إلا بدأت بحمد الله والثناء عليه".

وهذا (مسلم تلميذه) وخريجه، لما التقى به قبّله بين عينيه وقال: (دعني أقبل رجليك يا أستاذ الأساتيذ، وسيد المحدثين، وطبيبَ الحديث في علله) (١).

وقال الإمام قتيبة بن سعيد رحمه الله : "جالستُ الفقهاء والعباد والزهاد؛ فما رأيت -منذ عقلت- مثل محمد بن إسماعيل، وهو في زمانه كعمر في الصحابة"(٢).

---

(١) سير أعلام النبلاء ،١٢/٤٣٢

(٢)الحطة في ذكر الصحاح الستة ،صديق حسن خان،،ص٢٤٢

والإمام مسلم الحجاج رحمه الله، لا يقل كثيراً عن البخاري علماً ورحلة وجداً وتصنيفاً وكتابه (الجامع الصحيح) شاهد على ذلك، وفيه يقول إسحاق الكوسج رحمه الله:

(لن نُعدَمَ الخير، ما أبقاك الله للمسلمين)! (١)

وكان محل تقديم وإجلال أبي زرعة وأبي حاتم الرازيين، وله المصنفات الكثيرة غير الجامع كالعلل والأقران، وأوهام المحدثين والأسماء والكنى، والتمييز وغيرها.

وقد مكث نحو (خمس عشرة سنة) يجمع هذا الصحيح، وقد حرره واختاره من ثلاثمائة حديث كما اشتهر هذا عنه، وهذه المدة الطويلة تجعله كشيخهِ البخاري ستة عشر سنة، وتدل على تمام التريث، وولعه بالبحث، ورفض الاستعجال المنتشر هذه الأيام.

---

(١) شرح صحيح مسلم ، حسن أبو الأشبال الزهيري ،٩/١

(٢) صيانة صحيح مسلم، ص ٦٧، ١٠٠، شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/١)،

(٣) سير أعلام النبلاء ،١٢/ ٥٦٤

ولما فرغ منه عرضه على شيخه أبي زرعه الرازي حيث قال :

(عرضتُ كتابي هذا على أبي زرعة الرازي ، فكل ما أشار أنه علة تركته). [٢]

وفي هذا من حب الانصاف والتواضع والرجوع إلى الحق، ما يكشف عن نفسية هذا الإمام رحمه الله.

وقد أثنى عليه الأئمة رحمهم الله ، قال أبو قريش الحافظ: سمعت محمد بن بشار يقول: "حُفَّاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالري، ومسلم بنيسابور، وعبد الله الدَّارمِي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل ببخارى". ونقل أبو عبد الله الحاكم أن محمد بن عبد الوهاب الفراء قال: "كان مسلم بن الحجاج من علماء الناس، ومن أوعية العلم". وقال الحافظ أبو علي النيسابوري: "ما تحت أديم السماء أصحُّ من كتاب مسلم في علم الحديث".

وحين النظر لسيرة الإمام أبي داود السجستاني صاحب (سنن الأحكام) يدركُ الناظرُ أنه التقى مع صاحبي الصحيح في الشغف بالحديث ، والحرص على الرحلة العلمية التي تصقل الذهن، وتوسع الآفاق ، وتجني الكنوز والعجائب.

وقد عُرفَ رحمه الله بروح عالية، مكنونة بالنسك والورع والعفاف، وقد قيل عنه (كان أبو داود يُشبَّه بأحمد بن حنبل، في هديه ودله وسمته) [1].

والدل هو الهدى وحسن المنظر. قال الذهبي في السِّير :" الإِمَامُ، شَيْخُ السُّنَّةِ، مُقَدَّمُ الحُفَّاظِ، أَبُو دَاوُدَ الأَزْدِيُّ، السِّجِسْتَانِيُّ، مُحَدِّثُ

---

(١) منهاج المحدثين في القرن الأول الهجري وحتى عصرنا الحاضر،،على عبد الباسط مزيد، ص ٣٣٠

(٢) شرح سنن أبي داود، لابن رسلان ، ١/ ١١٢

(٣) المصدر السابق ، ١/ ١١١

البَصْرَةِ، وُلِدَ: سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَمائَتَيْنِ، وَرَحَلَ، وَجَمَعَ، وَصَنَّفَ، وَبَرَعَ فِي هَذَا الشَّأْنِ " .

واسمع ماذا يقول عنه صاحبُ الإمام أحمد المحدث إبراهيم الحربي رحمه الله (أُلين لأبي داود الحديث ، كما أُلين لداود الحديد)[1]، وقد نظمها بعضهم:..

لانَ الحديثُ وعلمهُ بكمالهِ ** لإمامِ أهليه أبي داودِ

مثلَ الذي لانَ الحديث وسبكُه ** لنبي أهلِ زمانه داودِ

وهذه شهادةٌ عظيمة من إمام فذ عظيم، تدل على العمق الغائر الذي بلغه أبوداود في الصناعة الحديثية.

وقد أعطانا أبوداود رحمه الله درساً في عزة العلم وصيانته لعلمه ومكانته حيث جاء أمير البصرة، وسأله ثلاث خلال منها: تفرد لأولادي مجلساً للرواية، لأن أولاد الخلفاء لا يقعدون مع

العامة، فقال أبوداود : (أما هذه فلا سبيل إليها، لأن الناس شريفهم ووضيعهم في العلم سواء).

وله من المصنفات: المراسيل والزهد والقدر، وفضائل الأعمال، وأخبار الخوارج.

وأما الإمام (أبو عيسى الترمذي) رحمه الله فإمام مقدَّم، وحافظ جليل، عُرف بالجودة والحِذق والجمع، وحسن التصنيف، وكتابه دليل على تمكنه الحديثي، ووعيه الفقهي بمذاهب الناس، فهو كتاب حديث وفقه.

ولا يضيره تجهيل الإمام ابن حزم، رحمه الله له فهو إما أنه لم يعرفه، أو لم يطالع سننه البهية، الداله على مكانته وإمامته رحمَ الله الجميع.

وقال ابن الأثير رحمه الله : "كان الترمذي إمامًا حافظًا، له تصانيف حسنة، منها الجامع الكبير، وهو أحسن الكتب". وقال الإمام

الذهبي: "الحافظ العالم، صاحب الجامع، ثقة، مجمع عليه". وقال عنه ابن العماد الحنبلي: "كان مُبرَّزًا على الأقران، آية في الحفظ والإتقان". وقال عنه الإمام السمعاني: "إمام عصره بلا مدافعة".(١).

قال الإمامُ الذهبي رحمه الله : " هناك علم نافع في جامع الترمذي، وفوائد جمة، وهو من أحد الأصول الإسلامية، ويوجد الكثير منها في الفضائل، وبحث جوهر الموضوع".(٢)

وقال عنه الشيخُ أحمد شاكر رحمه الله : " يمتاز كتاب الترمذي بثلاثة أمور، لن تجدها إلا في كتب السنة ومنها الأصول الستة وغيرها.في أغلب الأحيان يذكر الترمذي اختلاف الفقهاء واختلاف أقوالهم وذلك في بعض مسائل الفقه للتدبر والمعرفة ومسايرة

(١) سير أعلام النبلاء ، ١٣ / ٢٧٣-٢٧٤

(٢) المصدر السابق ١٣ / ٢٧٤

الزمن" . والتقى الترمذي نفسه الإمام البخاري وناقشه وتعلم منه، وقال له البخاري بعد ذاك : "ما انتفعتُ بك أكثر مما انتفعت".(١)

وقال الترمذي – نفسه - عن مؤلفه هذا: "من كان هذا الكتاب في بيته، فكأنما في بيته نبي يتكلم"(٢)..

وتوفي الإمام الترمذي الحافظ رحمه الله في بلدته "ترمذ " وذلك في ليلة الإثنين في ثلاثة عشر من رجب وذلك في سنة ٢٧٩ هجريا، وكان في ذلك الوقت عمره ٧٠ عامًا.

وأما (أبو عبد الرحمن النسائي) الخراساني رحمه الله صاحب السنن الكبرى والصغرى فإمام عصره بلا مدافعه، ومقدمّهم بلا منازعة، عُرف بالرحلة والجد، والبذل كسابقيه، ويزيد على بعضهم في

---

(١) سنن الترمذي ، مقدمة العلامة أحمد شاكر في شرح سنن الترمذي ،١/ ١

(٢) كتاب الفوائد الذهبية من سير أعلام النبلاء، فهد بن عبد الرحمن العثمان ، ٢ / ٩٠

شده التحري الحديثي، والنقد العلمي الدقيق وقد قال أبـو علـي النيسابوري حافظ خراسان رحمه اللّهُ : (للنسائي شـرطٌ فـي الرجـال أشد من شرط مسلم بن الحجاج) [1].

وقد عدَّ الحافظُ ابن حجر في النكت على ابن الصلاح قرابة ثمانية حفاظ، يسمون كتابه (الصحيح) لدقته وشـدة تحريـه ، وقـد أثنـى عليه أبو الحسن الدارقطني ناقد الصحيحين حيث قال : (كان أفقه مشـايخ مصـر فـي عصـره وأعلمهـم بالحـديث والرحـال) [2].ومـن مؤلفاته غير السنن: الخصائص وفضائل الصحابة، والمناسك.

وأمـا الإمـام (أبـو عبـد الله ابـن ماجـه) القزوينـي صـاحب السـنن والكتاب السادس من الأمهات، فقد قال فيه الذهبي في التذكرة

---

[1] سير أعلام النبلاء – ١١ /٨٢

[2] المصدر السابق ،١٤/ ١٣١

(الحافظ الكبير، المفسر صاحب السنن والتفسير، ومحدث تلك الديار) [1]

وكتابة السنن مشهور معلوم، وإن كان لم يذُكر ابتداءً مع الخمسة، لكنه أضيف لاحقاً، وأول من أضافه أبو الفضل بن طاهر المقدسي في كتابه (أطراف الكتب الستة) ثم عبد الغني المقدسي في كتابه (الكمال، ومقدمة كتابه رائعة جداً، جعلها مفتتحاً إلى ما جمعه من السنن والآثار النبوية، وهي خليقة بالشرح والتبين.

فاستلهامُ مثل هذه السير ومطالعة دروسها وعبرها ، مما يشحذ الهمم، ويصقل الروح، ويربي الإخلاص والجد والربانية ، وقد قال الإمامُ أبو حنيفة رحمه الله:"

---

[1] تذكرة الحفاظ = للذهبي ، ٢ / ١٥٥

(٤) صيد الخاطر، ابن الجوزي ، ،ص ٤٥٤

" سيرُ الرجال أحبُّ إليَّ من كثير من الفقه". يقول ابن الجوزي رحمه الله: (وعليكم بملاحظة سير السلف ومطالعة تصانيفهم وأخبارهم، والاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم).(٤)

وذكر الذهبي في (السير): عن نُعيم بن حماد قال: كان ابن المبارك يُكثر الجلوسَ في بيته، فقيل له: ألا تستوحِش؟ فقال: كيف أستوحِشُ وأنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه؟! اهـ.

وهذا مكث يورث الخلق التام، والتقوى الزاكية، والتربية المباركة.قال ابنُ الأعرابي:

لنا جُلَساءٌ ما نَمَلُّ حديثَهم ** أَلِبَّاءُ مأمونون غَيْبًا ومَشْهدا

يُفيدوننا من علمهم علمَ ما مضى ** وعقلاً وتأديبًا ورأيًا مُسَدَّدا

بِلا فتنةٍ تُخشى ولا سوء عِشْرةٍ ** ولا يُتَّقَى منهم لسانًا ولا يدا

فإن قلتَ: أمواتٌ فلا أنتَ كاذِبٌ ** وإن قلتَ: أحياءٌ فلستَ مُفنَّدا

_____

وقال الإمام أحمد ابن حنبل : يقول سمعت سفيان بن عيينة :" تنزل الرحمة عند ذكر الصالحين. (١)

وقال محمد بن يونس: " ما رأيت للقلب أنفع من ذكر الصالحين" (٢).

وقال ابن الجوزي رحمه الله: " رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب، إلا أن يمزج بالرقائق والنظر في سير السلف الصالحين. لأنهم تناولوا مقصود النقل، وخرجوا عن صور الأفعال المأمور بها إلى ذوق معانيها والمراد بها. (٣)

---

(١) أحاديث في ذم الكلام وأهله ٥/ ١٧٤ .

(٢) صفة الصفوة،لابن الجوزي، ص ٧.

(٣) صيد الخاطر ٧١ .

وقال إبراهيم بن إسحاق الحربي يقول سمعت بشر بن الحارث يقول :" حسبك أن أقواما موتى تحيا القلوب بذكرهم ، وأن أقواما أحياء تقسو القلوب برؤيتهم" (١).

وقال حمدون القصار رحمه الله: " من نظر في سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال"(٢)

وذكر عند مخلد بن الحسين رحمه الله أخلاق الصالحين فقال:

لا تعرضن لذكرنا في ذكرهم ** ليس الصحيح إذا مشى كالمقعدِ

وقال ابن الجوزي رحمه الله : " ومن نظر في سير السلف من العلماء العاملين استقر نفسه فلم يتكبر ، ومن عرف الله لم يراءِ، ومن لاحظ جريان أقداره على مقتضى إرادته ، لم يحسد" .

---

(١) صفة الصفوة،لابن الجوزي، ص ٧.

(٢)لاعتصام ،الشاطبي ١/ ٦٨.

فهذه النقولات تكشفُ ما لهذه السير من أثر عظيم لدى قرائها ومحبيها. فربَّ حكمة فيها أو مقولة تصنع الأعاجيب ، وتصقل العزمات، وتهديك طرق الإبداع ، وتسلك الطريق القويم والله الموفق.

وفيها محاسن وشمائل تزمُّ الطالب، وتقمع اندفاعه، وتزكيه ، وتعلي منزلة الإخلاص والرهبانية لله تعالى، وتزيل لوثات النفس ، وعراقيل الطريق.

(٢) تكوين الشغف الحديثي بحضور دروس المحدثين ، ومطالعة علومهم وسننهم وطرائقهم :

وهذا جانبٌ مهم، لأن الإنسان لن يحب شيئاً ما لم يكن شَغِفاً به، مهتماً اهتماماً كبيراً، لا سيما وقدوته رسول الله، ومنه النهج والتعويل، وإليه المستندُ والمنجى. ولكي يتنامى هذا الشغف على الطالب المبتدئ أن يبادر بحضور دروس أهل الحديث، وهي التي تدور حول أربعةَ أنواع :

الأول : شروحات المتون كالبخاري أو مسلم أو أبي داود، فيتتبع من يشرحها ويفك ألغازها متنا وإسناداً.

الثاني : تحليل القواعد الاصطلاحية أو مصطلح مايسمى الحديث أو القواعد الحديثية، كالأساتذة الذين ينبرون لشرح تلك المختصرات، كمقدمة ابن الصلاح أو الموقظة للذهبي أو

النخبة للحافظ ابن حجر، أو الباعث الحثيث للشيخ أحمد شاكر أو تيسير مصطلح الحديث للشيخ محمود الطحان[1].

الثالث : المحاضراتُ الحديثية التي تتناول متون النصوص النبوية، وتشرحها شرحاً ممزوجاً بالعلم والوعظ، نحو طريقة الحافظ ابن رجب في (جامع العلوم والحكم) حيث يخرج الحديث ويحكم عليه، ثم يبحر في مسائله بطريقة علمية معتدله، ونفس روحاني بهيج، وتكون تلك المحاضرات معنونةً باللفظ النبوي الجذاب نحو :

(اتق الله حيثما كنت) (الصوم جنة) (الصلاة نور) (سبق المفردون) (الحجّ عرفة) (البيعان بالخيار) (لا تغضب) (يعجبني الفأل) (الحلال بين) (الحج المبرور) (النذير العريان) وأشباهها.

---

(١) فكُّ الإشكالات الأولية في علوم الحديث.

وقد كتبت في ذلك رسالة صغيرة، اسمها (المحاضرة الحديثية) أدعو إخواني الدعاة إلى تناول هذا اللون الجميل من الدعوه، فهو فن جميل عزيز، سيثري النفس الحديثي في الأمة.

الرابع: السنن الواقعية : المعتنية بالحلول الشرعية الملائمة لقضايا العصر، أو إحياء ما اندرس من الآداب والأحكام ، وشبهه الطرح الموضوعي للسنة ، وجمع مدلولات ألفاظ معينة وتقديمها في شكل علمي وتربوي مفيد.

فهذه دروس المساجد الملقاة هذه الأيام، فمن يجد في نفسه الرغبة للسنة وأهلها فليسارع إلى اغتنام شيء من ذلك بالحضور أولاً، أو بالاستماع إلى شرائطهم المنثورة في التسجيلات أو المواقع الالكترونية.

ويمكن أن يضاف نوع رائع هنا وهو (الدورات العلمية) في العمل الحديثي في التخريج والأسانيد ، لأنها لا تكاد تُفهم إلا في مكتبة حديثية شاملة.

هذه الدروسُ إذا حضرها الطالب الراغب في العلم سيحصل له ما يلي:

(٥) إدراكُ أثر الحديث على سائر العلوم الشرعية، وأنه يحتاجه الفقيه والمفسر والعقدي والأصولي، وأشباههم من ذوي التخصصات العلمية، مما يدفعه إلى محبة الحديث والاهتمام بالسنة النبوية.

(٦) كشفُ الميلان الحديثي لديه، هل هو الحفظ أو القدرة الاستنباطية أم الاطلاع العام ومحبة السنن ؟ أم التخريج ونقد الرجال ؟ حيث سيبين له الميل النفسي تجاه فن معين من تلكم الفنون الحديثية، وكلها خير وتميز.

وقد كان الأسلاف يهتمون بهذا الجانب لأبنائهم وصغارهم، فيأتون بهم مجالس العلم والحديث، ليحصل لهم البركة، ولتشحذ فيهم العزيمة، ولا شك أن عائدتها التربوية على الصغير عظيمة وحافزة، حيث يحصل عندهم الشغف الحديثي، والتطلع العلمي والإبداعي....

ومن لم يجد ذلك في صباه، فإنه يهذِّب نفسه ويربيها على ذلك إذا حضرت الرغبة، وانتبهت الهمة في المرحلة الثانوية أو الجامعية، وكثير من الأعلام المعاصرين طلبوا الحديث متأخراً، وليس في الصبا، بسبب ضعف الدرس العلمي والغياب الأسري، وضخامة الموجةِ الغثائية، على الأمة الصارفة لها عن معالي الأمور، ونقصان عظمة العلماء ومكانتهم في الناس، ولا ارتيابَ أن النهضة العلمية والحديثية في أي قطر من الأقطار، ستعمل على ضخ المعين العلمي والارتقائي، الذي سيحبب الأجيال للعلم

الشرعي، ويجعل للسنة النبوية مكانةً عالية في نفوسهم، مما يبعثهم على قراءتها والتخصص فيها، ولكن الغثائية، والموات الفكري سيعملان على الصد من ذلك، وتبرز سفاسف الأمور لديهم، وتجعلهم في ذيل الأجيال، والله المستعان.

(٣) البدء بمختصرات السنة المجردة بلا أسانيد:

يستطيعُ المحبُّ للسنة، والطالب الحديثي أن يكسر رهبة الأسانيد وثقلها، بالبدء بالمختصرات السهلة التي هي (مجلد واحد) لكل كتاب حديثي وسيلاحظ فيها مايلي:

أ- خفةُ حملها، حيث أنها مطبوعةٌ في مجلد واحد، وأحياناً يكون صغيراً ككتاب الجيب.

ب- خلوها من الأسانيد، التي تطيلُ حجمها، وتخيفُ من شكلها.

جـ- وجازتها، بحيث يتمكنُ من ختم المجلد في يومين أو أكثر، وبلا تعب ومشقة.

فإذا استطاع أن يكرر هذا المجلد ثلاث مرات على أقل تقدير، سيخطو الخطوة الأولى إلى فهم السنة واستيعابها.

وأما أسامي المختصرات فكالتالي :

١- مختصرُ البخاري للزبيدي رحمه الله، اسمه (التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح). وهو مطبوع عشرات الطبعات.

(٢) مختصر المنذري رحمه الله على صحيح مسلم وقد طبع طبعات كثيرة كذلك.

(٣) مختصر أبي داود للشيخ مصطفى البغا.

(٤) مختصر الترمذي.

(٥) مختصر النسائي.

(٦) مختصر ابن ماجة.

وقد أخرجها كلها الشيخ مصطفى البغا، وعلق عليها حاشية يسيرة، تشرح غريب الأحاديث، فيمكن البدء بها، بحيث تقرأ قراءةً سريعةً أولية، ثم تكرر بطريقة متأنية وهادئة، حتى يستطيع القارئ الإلمام بالسنة، واختراق الصعوبات المتوهمة تجاهها.

وأعتقد أن مطالعةَ مختصرات الصحيحين، حتى للأطفال والناشئة بات سهلاً مع الطبعات الملونة، والحواشي الكاشفة، وبات من

الطبيعي اقتناء هذه المختصرات لسهولة حملها وخفة مادتها، وإمكانية الاستفادة منها.

وسيدركُ المسلمُ والمسلمة أن قراءة الصحيحين لن تكلف جهداً، أعني من المختصرات! وصفحاتٍ معدوداتٍ كل يوم ستأتي على آخرها في وقت قياسي، فكيف بالذي يخصص ساعات معينة للقراءة الحديثية، أو يجعل له عدداً معيناً، كل يوم، كأن يقرأ كل يوم خمسين حديثاً أو أكثر، حسب الهمة، والنشاط، والوقت المتاح.

(٤) استلهامُ مناهجهم الحديثية في التأليف، وطرائق التبويب والتصنيف ودواعي ذلك كله :

حيث إن المنهج الحديثي ومسار التأليف، يكشف عن أسرار وأعمال خاضها المؤلف حتى قدم لنا هذا السفر النفيس، وغالباً ما يدور ذلك حول ما يلي:

(١) الهمة الحديثية المبكرة.

(٢) الحرص والجد التامان.

(٣) الرحلات المتتابعة، ومشامة الشيوخ.

(٤) الاقتصاد وترك الملاذ.

(٥) الدقة والتحري في الجمع، وحسن الانتقاء.

هذه عوامل أساسية، توفرت لأكثر أصحاب الكتب الستة، قبل التصنيف والتأليف حيث متعهم الله بشئ من ذلك، فشرعوا يكتبون، ويدونون، ويختارون حتى حصل لهم ما حصل.

ولكي يخرج الإنسان كتاباً حديثياً يتلقاه الناس بالقبول، وتكون مرجعاً وإماماً، لابد له من سفر وترحال، وجمع وبحث وتنقيب، ثم حسن صياغة وترتيب.

فالبخاري مثلاً اختار كتابه من زهاء ستمائة ألف حديث(١) وجعل له كتباً وأبواباً، تعداد الكتب (٩٧) كتاباً، وأما الأبواب فكثيرة جداً تصل إلى (٣٤٥٠) باباً، وقد أودعها فقهه وعصارة عقله ولبّه، وفيها قال بعض الفضلاء، (فقه البخاري في تراجمه) (٢)

وصنفت الكتب العجيبة لكشف تلك الِحكم والنِكات التبويبية، وللمؤلف غفر الله منظومة مطبوعة في فقه البخاري في تراجمه، (الكوكب الساري على تراجم البخاري).

---

(١) فتح الباري ١/٧

(٢) السير ١٢/٤٠٢.

وكان يقول رحمه الله (ما أدخلتُ في كتابي حديثا إلا استخرت الله، وصليت ركعتين حتى تيقنت صحته) [1].

وحُكيَ أنه بيض تراجمَ الأبواب في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، بين المنبر والقبر في الروضة الشريفة[2] كما ذكر أبو أحمد بن عدي رحمه الله.

والذي حفزَه للتأليف شيخه الإمام إسحاق بن راهويه الحنظلي، حيث قال لهم (لوجمعتم مختصراً في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم). قال البخاري فوقع ذلك في نفسي.

وفي هذا دلالة على مكانة الشيخ، وحفزه لتلاميذه، وإشعاله فتيل الهمة والنشاط في قلوبهم، وكم من شيخ يحفز ويبني ؟! وكم من شيخ يثبط ويهدم، والله المعين.

---

(١) هدي الساري للحافظ ص:٧

(٢) هدي الساري ص: ١٣

ويُذكر سبب آخر لتأليفه الصحيح، وهو أنه رأى مناماً وفيه كأنه يذب عن رسول الله بمروحة، فحُكيت على بعض المعبرين فقال : أنت تذب الكذب عنه(١).

والإمامُ مسلمٌ رحمه الله جمعَ كتابه من (ثلاثمائةألف حديث مسموعة)، وعرضه على مشايخ عصره، فاستحسنوه إلا أربعة أحاديث، والقول فيها قول مسلم كما قال العقيلي(٢).

وكان يقول، (ليس كلُّ شئ عندي صحيح وضعته هنا يعني في الصحيح، وإنما وضعت هاهنا ما أجمعوا عليه) [٣] وعرضه أيضاً على شيخه أبي زرعة، وكل ما قال فيه علة، تركه، ولم يخرجه، وقد مكث في تأليف صحيحة "خمس عشرة سنة " كما تقدم،

---

(١) المصدر السابق ١/٧

(٢) سير أعلام النبلاء ،١٢/٥٦٥

(٣) صيانة صحيح مسلم ، ص٧٤.

وافتخر بنعمة الله عليه حين قال : (لو أن أهلَ الأرض يكتبون الحديثَ مائتي سنة، ماكان مدارهم إلا على هذا المسند) (١)

ومن تأمل الصحيح، وخاض في عُبابه، وجده كنزاً ثميناً، بالغ الوصف، ضمنه أصول الإسلام، وحجج الأحكام، ونوادر الأخبار، وروائع الأذكار، مع حسن ترتيب، وصياغة تجاوز بها شيخه الإمام البخاري، وكان رحمه الله جعله في كتب عامة، وتوفي ولم يكتب تراجم الأبواب على طريقة من يصنف في السنن والجوامع، ولذلك التراجم المذكورة في صحيحه، هي من صنع الشراح، وأحسن وضع لها، ما بوبه النووي رحمه الله شرحه، وكذلك تراجم القرطبي في المفهم.

---

(١) صيانة صحيح مسلم ، ص ٦٧.

(٤) كتاب رسالة أبي داود إلى أهل مكة ص٢٧ .

وأما الإمام ابو داود والسجستاني الأزدي، فقد طاف كثيراً من البلاد، يجمع هذه السنن التي هي (أم الأحكام) كما يسميها الحافظ ابن حجر في التلخيص، ومثل هذه الرحلات كافية في الصقل ، وحسن البحث، والغربلة.

وحدث بالسنن لما فرغ منها في بغداد، وعرضه على إمام السنة أحمد رحمه الله، فاستجاده واستحسنه، وقد كان من تلاميذه.

وقد كتب (رسالة إلى أهل مكة) لما سألوه عن سننه، قال فيها (كتبتُ عن رسول الله خمسمائة ألف حديث، انتقيت منها أربعة آلاف وثمانمائة حديث ضمنتها هذا الكتاب، وجمعت فيه الصحيح، وما يشبهه ويقاربه، وما ذكرت في كتابي حديثاً أجمع الناس على تركه، وماكان من حديث فيه وهن شديد فقد بينته، ومنه ما يصح سنده، وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح، وبعضها أصح من بعض..).[٤]

وقال في الإشادة بكتابه (ولا أعلمُ بعد القرآن شيئاً، ألزمَ للناس أن يتعلموه، من هذا الكتاب) (١).

وقال : (ويكفي الانسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث) : أحدها : (إنما الأعمالُ بالنيات) و (من حُسنِ إسلام المرء) و (لا يكونُ المؤمن مؤمناً حقاً، حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه) و (الحلال بيّنٌ والحرام بيّن).(٢)

وفي كتابه الجليل يقولُ ابن الأعرابي رحمِه الله وهو أحد رواته (لو أن رجلاً لم يكن عنده من العمل إلا المصحفُ ثم كتاب أبي داود، لم يحتج معهما إلى شئ)(٣)

---

(١) رسالة أبي داود إلى أهل مكة، ص٢٨

(٢) صفة الصفوة، ٤/ ٦٩.

(٣) معالم السنن للخطابي، ٤ / ٣٦١.

وأثنى عليه كبار الأئمة كالغزالي والخطابي وابن القيم وغيرهم رحم الله الجميع .

ويمكن وعيِ ذلك من خلال كتابات بعض المعاصرين في مناهج المحدثين نحو:

١) الحطّةُ في ذكر الصحاحَ الستة. للشيخ صديق حُسن خان.

٢)مقدمة تحفة الأحوذي للمباركفوري رحمه الله.

٣)مناهج المحدثين. للدكتور سعد الحميّد .

٤)مناهج المحدثين العامة في الرواية والتصنيف. للدكتور نور الدين عتر.

٥)دراسات في مناهج المحدثين . للشيخ محروس رضوان.

وغيرها من الكتب المدونة في هذا الباب .

(٥) التقييد المبدئي لفوائد الصحيحين والسنن، المتضمنه للمعاني الجميلة والأحكام الطريفة، والقصص النادرة، والسنن المهجورة، أو ما نسميه (الفهرسة العلمية العملية):

لا يستريبُ عاقلٌ أن الواقفَ على السنة، واقف على كنوز ثمينة، ودرر فاخرة، غاصة بما يُمتع النفوس ويبهرها، بحيث يجعلها متعلقة بتلك المعاني والأسرار، التي تتجاوز حدودَ المجد المالي، والفَخار المكتسب.

ومن روعة السنن وحلاوتها، (التنوع المعرفي) والموضوعي فيها، حيث يجد الناظر فيها أحاديث العبادات، والمعاملات، وقضايا الإيمان والفتن وأشتراط الساعة، وقصص السابقين، وأخبار رسول الله وفضائل صحابته، وآداب المسلمين، والمناهي المحظورة، والأحلام والمنامات، والأقضية والأذكار، والسنن المحمودة.

ومثل هذا التنوع يحمل القارئ على التصفح والبحث والسؤال، حيث يطالع خضمّاً معرفيا جذاباً، سيجد فيه ما يحتاجه الآن وغداً.. وسيرسم مستقبله من خلال المفاهيم المغروزة في الجسد الإسلامي، عبر تلك السنن الباهرات والأزهار المتناثرات.

ولذلك نوصي القارئ الحديثي، أن يبدأ بعملية تقييدية لتلك الفوائد الحسان، وتلك الغُرَر الجُمان، ويكون لديه كراس أو دفتر، لكتب السنة مجتمعة، أو يفرد كل كتاب بكراس مخصوص، يسميه (فوائد ونوادر) صحيح البخاري على سبيل المثال، والفوائد تكون كالتالي :

(ا) نص جميلٌ محكم جذاب، رقَّ لفظه، وأعجبه جرسه ووقعه نحو:(الطهور شطر الإيمان). (مطلُ الغني ظلم).(وخيرهما الذي يبدأ بالسلام).

(٢) أمثالٌ وحكم نادرة، لفظ بها النبي صلى الله عليه وسلم نحو قوله : (الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة) في الصحيحين عن ابن عمر..(اتقوا النار ولو بشقّ تمرة).(أحبُّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ).(المؤمن مرآةُ أخيه). وغيرها .

(٣) آثار صحابة نادرة، وهذه مشحون بها صحيح البخاري الأصل، نحو قول علي: (حدثوا الناس بما تعرفون، أتريدون أن يكذب اللهُ ورسوله)؟!

وقول عمار: (ثلاث من استكملها فقد استكمل الإيمان : بذل السلام للعالَم، والإنصاف من نفسك)...

وقول ابن مسعود في مقدمة صحيح مسلم: (ما أنت محدث قوما حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة).

وقول يحي بن أبي كثير رحمه الله كما في صحيح مسلم في كتاب (لا يُستطاع العلم براحة الجسد)!!

(٤) قصص طويلة نحو (حديث الإفك، وأصحاب الصخرة، وقصة كعب بن مالك، وأصحاب الأخدود، وحديث الجساسة وأشباهها من القصص الحديثي الرائع، الذي يحتاج منا مزيد الحفظ والفهم والتأمل).

(٥) سننٌ نادرة ومهجورة، في البخاري نحو : قول كعب بن مالك رضي الله عنه (كان رسول الله إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين).

وفي مسلم نحو، قول عائشة رضى الله عنها (كان رسول الله إذا دخل منزله بدأ بالسواك).

وفي أبي داود نحو حديث أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : (إذا انصرف من صلاة الفجر : اللهم إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً طيباً، وعملاً صالحاً متقبلاً).

وفي الترمذي نحو : حديث أَبِي الزُّبَيْر ، عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : " لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ ".

وفي النسائي نحو : حديث أبي أُمامةَ الباهليِّ رضيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (مَن قرأَ آيةَ الكُرسيِّ دُبُرَ كلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ، لم يمنَعْه مِن دخولِ الجنَّةِ إلَّا الموتُ) وسنده جيد.

وفي ابن ماجة : في خروجه من المسجد يقول أيضا: (اللهم اعصمني من الشيطان).

(٦) أذكار وأدعية نادرة، يحسن تحفظها والاهتمام بها نحو :

حديث ابنِ عباس قال : أذن المؤذن لصلاة الصبح فخرج النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (اللهم اجعل في قلبي نورا، وفي لساني نورا، وأجعل في سمعي نورا..)

(٧) أحاديث طريفة نحو : (سبقك بها عكاشة) في الصحيحين.

(اسقِ حديقة فلان) في صحيح مسلم .

وحديث : أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ، وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ لَهُ : أَوَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ ؟ قَالَ : بَلَى، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ. فَأَسْرَعَ وَبَذَرَ، فَتَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ وَتَكْوِيرُهُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ ؛ فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ. فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَجِدُ هَذَا إِلَّا قُرَشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا ؛ فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، فَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا

بِأَصْحَابِ زَرْعٍ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ . كما في صحيح البخاري . وحديث : (يا أبا عمير ما فعل النُغير) في المتفق عليه.

وحديث عمرو بن ميمون في اجتماع القردة على قردين فرجموهما كما في صحيح البخاري.

وحديث الأعرابي البائل في المسجد قال (اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً ابدا.. فقال صلى الله عليه وسلم : لقد تحجرتَ واسعا). ويذكر العبدُ الفقير أنه فهرسَ الصحيحين الأصليين في بداية الطلب، في كراسات مخصوصة، ولكنها افتقدت بسبب تغيير المسكن، والله المستعان .

(٦) الإشاعةُ المعرفية بفضل السنة وأهميتها:

وهذا باعثٌ يحمل المحبين والراغبين، على القراءة والمتابعة، لأن الذي يحملنا على حب السنة وقراءة مصادرها، عظم والفضل المخبوء لحاملها والمقتفي لآثارها.

وهذه الإشاعة إنما تؤديها أساتذة الحديث، وجمهرة العلماء،إذ يجب عليهم أن يذكروا الناس، بأهمية السنة ومحبتها، والتعلق بها، وتطبيقها على كل حال.

وأن التدينَ الصادق، انما يكمل ويطيب باتباع الآثار، وحمل السنن والأخبار.

كذلك المبتدئ في طلب الحديث يقرأ في فضل الحديث والمحدثين، ومن أحسن ما كتب في ذلك كتاب الخطيب البغدادي (٤٦٣) هـ (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع).

وبقراءة هذا الكتاب، سيتعاظم فضل السنة في قلب آتيها، وسيحمله على البحث والجد الحديثي.

كذلك خطباء المساجد وأرباب الدروس والتوجيهات، من الحيوي دعوياً تناول السنة وفضلها، ودعوة الناس إلى حفظها ونقلها، وبيان سير أهل الحديث في حملها وطلبها وللخطيب رحمه الله كتاب (الرحلة في طلب الحديث).

ونقل الشيخُ أبوغدة أعاجيبَ من سيرهم في كتابه الممتع (صفحاتٌ من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل). وقد كان العبد الفقير يختم بخبر أو خبرين منه في المجالس العلمية في مسجد التقوى، ففرغنا منه خلال أربع سنين، وكان عائدته على التلاميذ حافزه ومشجعة، ولله الحمد والمنة. وتشتد الحاجةُ إلى السنة، باعتبار أنها مصدر للتشريع ووعي العبادات ، وكونها المخرج أزمنة الفتن والنزاعات ،

وفي حديث العرباض بن سارية - رضي الله عنه - قال: وعظنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودِّع، فأوصنا. قال: (أُوْصِيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ عز وجل، وَالسَّمعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافاً كَثِيراً؛ فَعَلَيكُمْ بِسُنَّتِيْ وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُور فإنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ).(١)

وقال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -: «لست تاركًا شيئًا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعمل به، إلا عملت به، وإني لأخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ».(٢)

---

(١) سنن أبي داود، ٤ / ٢٠٠

(٢)شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، ٥ / ٨

وقال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -: «لا رأي لأحدٍ مع سُنة سنَّها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -».(١)

وقال الشافعي رحمه الله : " أجمع المسلمون على أنَّ من استبان له سُنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يحلّ له أن يدعها لقول أحد" . (٢)

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، ٢/ ٢٨٢.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٢٨٢

(٧) الإحياءُ العملي لفرائد السنن وبدائعها، والإحاله لمصادرها:

وهذه قضية جوهرية في حس المسلم الواعي، لأنه يتعبد الله بما شرع، والدين المشروع أكثره في السنة.

فحينما يتوضأ، وحينما يصلى يستطيع بسؤاله وقراءته الحديثية، التعرف على تلك السنن فيحييها في نفسه وفي أهله، ومجتمعه. ودعوى الحب النبوي تصديقها العمل والتطبيق العملي لسننه وآثاره عليه الصلاةُ والسلامُ .

قال العلامةُ ابن القيِّم رحمه الله: "ولا يحبك اللهُ إلا إذا اتبعتَ حبيبه ظاهرًا وباطنًا، وصدَّقته خبرًا، وأطعته أمرًا، وأجبته دعوةً، وآثرته طوعًا، وفنيت عن حكم غيره بحكمه، وعن محبة غيره من الخلق بمحبته، وعن طاعة غيره بطاعته، وإن لم يكن ذلك فلا تتعنَّ، وارجع من حيث شئت، فالتمس نورًا فلست على شيء".[1]

(١) مدارج السالكين لابن القيم ٣ / ٣٧

والحياة الاجتماعية مسرحٌ لتطبيق تلك السنن في السلام، واللقاء، والمحاورة، والبيع والشراء والمنازعات، والمجالس والضيافة.

وكذلك عند حضور المواسم في رمضان والعيد والحـج والنكـاح ، ثمة سنن هامة، من الضروري تعلمها وإحياؤها في الناس.

وهذا الإحياءُ العملي فوائده كالتالي :

(١) ترسيخُ السنة في قلب صاحبها ، ومعرفةُ مظان وجودها.

(٢) استدعاءُ الناس للسؤال ، وبحـث الـدليل إذا رأوا مـا لا يألفونـه من سنن جديدة، وتعبدات غريبة.

(٣) نشرُ للسنة، وتعريف للخلـق بفضـلها وأهميتهـا فـي تقـويم السلوك الإنساني.

(٤) حفزُ الناس للاقتفاء والمتابعة، والحرص على تحصيل الثواب، لا سيما إحياء ما خفي، وبعث ما اندرس، ومات في أذهانهم.

(٥) تحقيقُ التدين التام، والسني الخالي من البدع والخرافات والواهيات.

(٦) تمييزُ الصحيح والثابت من الضعيف والواهي، بحيث يثير الإحياء عمليةَ التصحيح والثبوت.

(٧) التنقيبُ عن المزيد من السنن المفضلة بحال المكلف، في المواسم وغيرها، وعند حصول الأحداث والمواقف، إذ مثل ذلك يدفع بالناظرين إلى القراءة وتتبع أحوال رسول الله في كل المواقف والشؤون، وهي دعوة صريحة لامتلاك الصحاح والسنن المختصرة وتقليبها.

(٨) الحرصُ على توقّي البدع، وتطلّب الهدى السني في كل الشئون العبادية والحياتية.

(٩) تحقيق تمام الاتباع لرسولنا صلى الله عليه وسلم، والحرص على تقليده دائماً وأبداً واعتقاد صحة مسلكه، ونجاة محبيه ومقتفيه.

وهذا في نظرنا من أهم الخطى الميسورة إلى الكتب المشهورة، لكنها تتم وتطيب بالحرص الصادق، والقراءة الأولية، والمبادرة السريعة إلى التنفيذ وهو ما يسمى (باقتضاء العلم العمل). وفيه يقول على رضى الله عنه :(هتفَ العلمُ بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل) (١).

وهو طريق إلى تثبيت السنن وحفظها ، وقد قال وكيع وغيره (إذا أردت حفظ الحديث فاعمل به) (٢).

فالعملُ بالأحاديث، طريقٌ إلى حفظها وترسيخ محتواها، ونيل ثوابها وهو يشمل السنن الواجبات والمستحبات وكثير من الناس يزهد في المستحبات بحجة سهولتها وعدم فرضيتها أو تأكدها،

---

(١) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي ص٣٥-٣٦

(٢) كتاب الوسيط في علوم ومصطلح الحديث ، محمد أبو شهبة، ص١٧٨

وهذا خلل سلوكي خطير قد يتفاقم مع العبد، حتى يصبح لا يعمل إلا بالسنة الواجبة، المحاطة بشئ من التقصير والعجلة وعدم الاهتمام، وتضعف الجلالة المتينة للسنة في قلبه وشعوره!! والله المستعان.

(٨) التثقيفُ الموسمي والاحتياجي بالأحاديث الستة :

هذه خطوة مهمة لتعلم السنة وتحقيق فهمها واتباعها، حيث إن هذا الدين متجدد في حياة الناس، وليس على شكل واحد، وثمة فرائض مختلفة، وشعائر متنوعة، ومنها ما هو موسمي كالصيام والحج والأعياد، ومنها ما هو طارئ بحسب سلوك الإنسان وممارسته الإجتماعية.

ومثل هذا التجدد والتحول في حياة الإنسان، يذكره بالسنة، ويعليه إيمانياً، ويرسخ لديه كثيراً من الأحكام والآداب.

فالواجبُ عند دخول رمضان ، القراءةُ في فقه الصيام وآدابه وفضائله من الكتب الستة مباشرة ، وسيظفر المرء بعشرات السنن العجيبة، والآداب الخلابة التي تستحق منه الفهم والاهتمام، ثم حسن العمل والتطبيق.

وكذلك عند دخول موسم الحج، يتعلم المسلم صفة الحج وفضله، وأحكامه المبثوثة في كتب المناسك والحج والعمرة والإحرام المثبتة في الكتب الستة، وكذلك الأعياد والأضحية وزكاة الفطر.

وأما الجانبُ الاحتياجي، فهو حين نزول النوازل، وطروء المواقف الداعية كالبيع، والشراء، والنكاح، والعزاء، والجنائز، والكسوف والاستسقاء وسؤال المستفتين وأشباهها مما يحمل المرء على القراءة، والمراجعة.

وأما بالنسبة للعبادات المتكررة كالصلوات والأذكار والأدعية والآداب فهذه ينبغي تثقيف النفس بها من الوهلة الأولى لقوله تعالى : (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) سورة البقرة: ٤٣. والإقامة متعذرة إلا بالوعي والفقه الشرعي

المنير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو القائل : (صلوا كما رأيتموني أصلي) (١).

كما في صحيح البخاري. وقد كتب الشيخُ المحدّث الألباني رحمه الله كتابًا مختصرا في "صفة الصلاةُ ، كأنك تراها" ، من أنفس ما كتب في هذا الباب، وللشيخ ابن باز مختصر عزيز فيها، ومطالعتها تعلمك الصلاة الشرعية ، لا البدعية..!

(١) البخاري(٧٢٤٦).

(٩) عقدُ اللقاءات الحديثية (قراءة وتعلما، ونقاشاً، وشرحاً، وتحليلاً):

من الطرائق المستحسنة لنشر السنة وتفهم أخبارها والتشويق لدراستها هي أن يجتمع رهط معين لقراءة كتاب كالبخاري أو أبي داود، ويتخيرون أبواباً مناسبة لعقولهم، أو يبدأون من أول الكتاب، ويكون لهم شخص ينظمهم، ويرتب مجريات الحوار والنقاش. وهذه المجالس الحديثية إنما تنجح بالعوامل الآتية :

(١) وجود الرغبة الصادقة من المجتمعين، لتعلم الحديث، والتعرف على الهدي النبوي.

(٢) التزامهم بالموعد، واحضار الكتاب وإظهار الجد والاهتمام، ولا ينفع اللغو اللساني، ودعوى المحبة هنا بدون حملان الكتاب واصطحابها ، وكما قيل : وفقد الكتاب كفقد الصواب ، فياهول من قد أَضاع الكتب....!

(٣) ممارسةُ النقاش الجاد، والحوار الهادئ الذاهب إلى فهم النص، واستخراج فوائده ودرره.

(٤) تصحيحُ المقصد في حب السنة والشوق لفهمها، وليست للتمظهر وجلب الوجوه.

والتزامُ مثل هذه المجالس، التي هي مختلفة عن الدروس العلمية في المساجد، سيحدث أثراً مفيداً على أصحابها، وسيقطعون من خلالها مضماراً بعيداً في رحاب السنن والآثار.

وأما الفوائد المجتباة من ذلك فكالتالي:

(١) تجاوزُ رهبة الصعوبة الحديثية بسبب الأسانيد والمصطلح وأسماء الرجال.

(٢) حفظُ السنة، وإدراك معاني بعض النصوص المهمة، وتثبيت روادها لا سيا أزمنة الفتن والغربة، وأيام الوحشة والكآبات.

(٣) التعرفُ على الكتاب المقروء، وإدراك صنع مؤلفه في تأليفه وجمعه وترتيبه.

(٤) توسيعُ الذهن بالمداولة والتحاور، ودوام التفكير والنظر.

(٥) الحرصُ على التفهم، وإصابة المعنى النبوي المقصود من بعض النصوص المبهمة متونها ، وذلك عن طريق الرجوع لبعض كتب الشروح، أو سؤال المشايخ المتخصصين، أو إعمال الذهن بالفكرة ومحاولة الفهم السديد.

(٦) إشاعةُ معاني العناية بالسنة وأهلها، وإزالة المصاعب في سبيل تعلمها وتفهمها.

(٧) تجسيدُ شخص رسول الله بينهم من خلال تعلم سنته، ووعي وصاياه، مما يزيد محبته، والخضوع لرسالته.

(٨) ربطُ السنة بالواقع، من خلال وعي العبادات وتطبيق السنن، وحل المشكلات، وتحفظ الأذكار اليومية والموسمية والطارئة.

وهذا (اللقاء الحديثي) إنما يهتم به محبو السنة، وعشاق الآثار، والحِراص على مستقبل الإسلام كالجمعيات الحديثية وأنصار السنة، وهيئات النصرة النبوية، وامثالها[1].

وهو نواة المجالس العلمية والتثقيفية إذا التزم ووظب عليه، كمجلس أسبوعي ثابت، ويشتد الاهتمام به في المواسم كرمضان والحج، حيث إقبال النفوس على الخير، وتعطشهم للنور والهداية، ويشملهم حديث (وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله..).

ومع الهجمة الشرسة على مقام الرسول من الغرب الصليبي في السنوات الأربع الأخيرة، يجعل الأيقاظَ أكثر اهتماماً ، وغيره ، وحباً للسنة وصاحبها عليه الصلاة والسلام.

وتستطيعُ الأسرةُ المسلمة في البيت المشرق بالهداية، أن تخصص درساً صباحياً كل جمعة مثلاً في قراءة (رياض الصالحين)، أو (صحيح البخاري)، لكي يتعلم الصغار السنة، وترسخ لهم المثل العليا، ويعلموا عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتبيت السنة جزءاً من حياة الطفل في تفكيره وسلوكه، فيعمل بها وينتفع إلى أن يبلغ بها الشغف الحقيقي، والتعلق الجاد.

(١٠) فرز الأحاديث الصغيرة وجوامع مع الكلم، وما لايتجاوز السطرين وتكرارها لترسخ في الذهن وتطبع في النفس:

وهذه طريقةٌ حسنةٌ فعالة، في هضم كتب السنة والسيطرة على محتواها، والتغلب على صعوباتها ومطولاتها، حيث يقومُ القارئ الحديثي الى تجريد الأحاديث الصغار، والكلمات الجوامع في كراس مخصوص أو في هامش الكتاب في أو آخره، ويديم النظر فيها ويحاول تكرارها، ومعرفة مصدرها الأساسي.

وسيخرج بكمية هائلة، ومفيدة، متنوعة الموضوعات، وهي تمتاز بمايلي:

ووددت لو أن طالب علم يقوم بتجريد الأحاديث الصغيرة من السنة كلها، بحيث لاتتجاوز السطرين أو الثلاثة، ويصنفها تصنيفاً جميلاً، يكون مختصراً جامعاً لموضوعات كثيرة وماتعة في السنة النبوية، وروحية شهية لصغار الطلاب يحفظونها، وبديمون النظر

فيها، كذلك مطولات السنة يمكن تقطيعها على هيئة جمله مقفوله ومفيدة، كطريقة البخاري، بحيث تسهل ويستعان على حفظها وتقريبها. وأتوقع أن ذلك عُمِلَ واكتمل عوده ..!

وتكمنُ فائدةُ هذا التجريد والعزو الاختصاري في كونه :

١) حاويا لأكثر موضوعات السنة المختلفة.

٢) جاذباً لطلاب السنة، وصانعاً فيهم الذوقَ والاهتمام الحديثي.

٣) نائياً عن الأسانيد ومطولات السنة التي لا تروق لكثيرين.

٤) تقريبه لأحاديث الأحكام الفقهية، التي يمكن ضبطها من خلال المتون الصغيرة.

ومن أمثلة هذه الأحاديث الصغيرة في الكتب الستة مايلي :-

- في صحيح البخاري (من أطاعني دخل الجنة) (١).

في صحيح مسلم (الدين النصيحة) (١).

(١) صحيح البخاري، ٩ / ٩٢

وفي سنن أبي داود (من غسل واغتسل وبكر وابتكر، ومشى فلم يركب(٢)...

وفي سنن الترمذي (لا وترانِ في ليلة) (٣).

وحديث قال رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ : (ابْنَ آدَمَ، ارْكَعْ لِي مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، أَكْفِكَ آخِرَهُ) (٤).

- وفي سنن النسائي (احْبِسْ أَصْلَهَا، وَسَبِّلْ ثَمَرَتَهَا "(٥).

- وفي سُنن ابن ماجه:(إِنَّ اللَّهَ قَدْ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ) (٦)

وفي الصحيحين (مطل الغني ظلم) عن أبي هريرة(١)، وفيهما (لا تتمنوا الموت) عن أنس(٢).

---

(١)صحيح مسلم ، ١ / ٧٤

(٢)سنن أبي داود، ١ / ٩٥

(٣)سنن الترمذي ، ٢ / ٣٣٣

(٤) المصدر السابق ،٢ / ٣٤٠

(٥) سنن النسائي ، ٦ / ٢٣٢

(٦) سُننِ ابن ماجه ، ١ / ١٥٩

وفيهما (إن الإيمان ليأرزُ إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها).(٣).

وعند أصحاب السنن الأربع مجتمعين : قول (غفرانك) عند الخروج من الخلاء (٤).

و(الحج عرفة) (٥).وحديث (من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة).

وحديث (اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت...الخ).

وحديث (أربع لا تجزى في الأضاحي : العوراء البين عورها...) عن البراء.

(١١) القراءةُ الخاطفة السريعة للكتاب، بحيث يفرغ منه في وقت قصير:

---

(١) البخاري(٢٢٨٧) مسلم(١٥٦٤).

(٢) البخاري(٥٦٧١) مسلم (٢٦٨٠).

(٣) البخاري(١٨٧٦) مسلم(١٤٧).

(٤) أبو داود (٣٠). الترمذي(٨)

(٥) أبو داود(١٩٤٩) الترمذي(٨٨٩).النسائي (٣٠١٦)ابن ماجه(٣٠١٥).

وهذه وسيلةٌ سهلة وميسورة يستطيعها كثير من الناس، ويمكن أن تُفعل مع الكتاب الأصلي أو مختصره، والذي أراه للذي لا يحتمل شدة الأسانيد، أن يبدأ بالمختصر فيقرأ مثلاً مختصر الزبيدي على البخاري ثلاث مرات قراءة سريعة، يحاول أن يخطط ويعلق على الحديث بما يفهمه ويذكّره به. وهذه يسميها بعضهم (قراءة الجرد) التي تلخص لك معالم الكتاب الرئيسية ، وتجني منها ثمرات عامة. وقد عرفت قديما عند السلف.

ونقل القاسمي في قواعد التحديث عجائب في ذلك ، منها ما في ترجمة الفيروزآبادي صاحب "القاموس" أنه قرأ بدمشق، على ناصر الدين بن جهبل، صحيح مسلم، في ثلاثة أيام،

وقال الحافظ السخاوي: وقع لشيخنا الحافظ "ابن حجر" رحمه الله أجلّ مما وقع لشيخه المجد اللغوي، فإنه قرأ صحيح البخاري في أربعين ساعة رملية، وقرأ صحيح مسلم في أربعة مجالس سوى مجلس الختم في يومين وشيء، وقرأ سنن ابن ماجه في أربعة

مجالس، وقرأ كتاب النسائي الكبير في عشرة مجالس كل مجلس منها نحو أربع ساعات، وقرأ صحيح البخاري في عشرة مجالس كل مجلس منها أربع ساعات. ثم قال السخاوي: وأسرع شيء وقع له -أي لابن حجر- أنه قرأ في رحلته الشامية معجم الطبراني الصغير في مجلس واحد بين صلاتي الظهر والعصر. قال: وهذا الكتاب في مجلد يشتمل على نحو ألف حديث وخمسمائة حديث) (١).

وقرأ الحافظ أبو الفضل العراقي "صحيح مسلم" على محمد بن إسماعيل الخباز، بدمشق، في ستة مجالس متوالية، قرأ في آخر مجلس منها أكثر من ثلث الكتاب، وذلك بحضور الحافظ زين الدين بن رجب، وهو يعارض بنسخته . (٢)

وأخبارهم رحمهم الله في ذلك تطول ولا تنتهي، ولكنها تورثُ العبرة والاتعاظ، وتشحن الهمة والإقبال .

وبعد هذه القراءة الخاطفة سيشعرُ بسهولة المقام، وربما انشرحت نفسه للكتاب الأصلي، وتاقت إلى تحفظ قطع منه، وهذا

---

(١) كتاب قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، القاسمي، جمال الدين ،ص ٢٦٢

(٢) المصدر السابق ص ٢٦٢

ما نحاول تقريبه، وايصال الناس إليه، والطلاب يتفاوتون في سرعة القراءة، والاستيعاب منها، لكننا ندعوا الطالب إلى التدرب عليها، وتعويد النفس عليها ، بحيث يسابقُ الزمان، وتدركُ أعاجيب الفوائد.

ومن الوسائل المعينة على القراءة السريعة:

(١) القراءةُ الصامتة والتي تعتمد على دقة النظر، والسرعة الذهنية.

(٢) تجاوزُ المواقف الصعبة والمقاطع العسيرة، وجعلها في آخر المطاف.

(٣) استشعار تقدم الزمان، وذهاب الأوقات بلا طائل مع التدفق المعرفي المهول.

(٤) معاينةُ ضخامة الكتب الحديثية، وأنها تتطلب جهداً سريعاً، وهمة صارمة للإتيان على أجلّها وأحسنها، وهي (الكتب الستة).

(٥) التدربُ على الكتيبات الصغيرة التي تُفرغ منها في ساعات وأقل، ومن ثم الولوج في خضمّ المتون الحديثية، وليكن البدء بالمختصرات أولاً، ثم الكتب الأصلية المطولة .

(٦) تطبيعُ الذات وإغداقها بالقراءة والاطلاع، بحيث لا يمر عليها يوم إلا وتقرأ الصفحات الكثيرةَ، وليس ما دون العشر في اليوم الواحد، فهذا آية البسطاء والتكاسل والإهمال.

(٧) التنافسُ الشريف مع الإخوة والزملاء، في الطلب بحيث يختم مثلاً صحيح البخاري المختصر في يومين أو ثلاثة أو الصحيحان الأصليان في نصف شهر، وهلم جرا.

(١٢) تكوينُ الوعي الشمولي بالسنة ديناً، ودنيا، ومعلماً حضارياً للأمة :

وحينما يقتنعُ الشباب المسلم بحيوية السنن النبوية، ومدنيتها، وحضاريتها عبر الطرح المشيخي العلمي، سيساعد ذلك من

إقبالهم عليها، وسيزيد من حماسهم الديني، وغيرتهم الحديثية.

السنة ليس أوراد مسجد، ولا وعاء شعائر، معزولة عن واقع الناس ! كلا ! بل هي صنو القرآن في بيان ضعف الأمة وأسباب انكسارها وشرح خطوات المعالجة، وتدفع بالإصلاح، وتكشف مقومات النهضة والارتقاء.

نبينا صلى الله عليه وسلم، كان رجل دين ودولة، وإحياء ووثبة ، وتحرك ونهضة، ورسائله النبوية غريزة في الحض على العلم، والبناء والإصلاح، والتغيير، بل إن الله لم يأمره بشيئ يتزود دبه سوى العلم : و(قل رب زدني علما) (طه ١١٤).

وحضَّ أمته على العلم وفضله، وأبان لهم سبل الجد وطلب الرزق، ونيل المعالي، ورفض الذلة والتبعية مستذكرين قوله تعالى : (وَلا

تَهِنُــوا وَلا تَحْزَنُــوا وَأَنْــتُمْ الأَعْلَــوْنَ إِنْ كُنْــتُمْ مُــؤْمِنِينَ) (آل عمران:١٣٩).

فهذه الأمة طبيعتها العلاء، والإرتقاء فكيف لها أن ترضى بالجهل والتخلف وأن تكون عالة على الأمم....

ليس هذا هو المنهاج القرآني والنبوي الذي تعلمناه !

ومن المعالم النهضوية والحضارية في السنة النبوية الشريفة مايلي :

(١) الدعوات المتوالية، والحاضة على العلم والفقة، وطلب المجد والخيرية[١]

وفي صحيح البخاري (من يرد اللّهُ به خيراً يفقهه في الدين).(١)

وقوله في سنن ابن ماجه (طلب العلم فريضة على كل مسلم).(٢)

---

(١) صحيح البخاري ، ١/ ٢٥

(٢) سنن ابن ماجه ، ١/ ٨١

(٢) تنظيمُ العلاقات الاجتماعية بين الناس، وتجنيبهم أسباب الخلاف في التعامل والبيع والشراء، والانكسار على المفاسد المقترفة في ذلك لقوله : (من غشنا فليس منا). (١) وقوله : (أفشو السلام بينكم) (٢)

وقوله : (ارحموا من في الأرض...) (٣)

(٣) منظومة الأخلاق النبوية التي تضبط المجتمعات، وتصونها من التنازع والاختلاف، وتمجد الفضائل، وتسهمُ في الوحدة المجتمعية.

كقول : (البرُّ حسنُ الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس). (٤)

وحديث (عليكم بالصدق، واياكم والكذب) (١).

---

(١) المصدر السابق ، ٢ / ٧٤٩

(٢) صحيح مسلم(٥٤).

(٣) سنن الترمذي ٤/ ٣٢٣

(٤) صحيح مسلم ٨/ ٧

وحديث (لا يدخلُ الجنة نمام). المصدر السابق ،

وحديث (على كل سُلامي من الناس صدقة) المصدر السابق ،

وحديث (إن الرفق لا يكون في شئ لا زانه) [٢]

(٤) برنامجُ حماية البيئة ، وصحة الناس التي هي من أسس الارتقاء الحضاري

كقوله : (اتقوا اللعانين الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلهم) [٣].

وحديث (إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن يغرسها فليفعل).[٤]

(٥) قيمُ تمجيد العمل والحث عليه والأمر بإتقانه وذم البخس والمخادعة.

---

(١)البخاري (٦٠٩٤) مسلم(٢٦٠٦).

(٢) البخاري (٦٠٥٦) مسلم(١٠٥).

(٣) البخاري(٢٧٠٦) مسلم(١٠٠٩).

(٤) مسلم(٢٥٩٤).

كقوله عليه الصلاة والسلام : (البيعان بالخيار ..) [1].

(لأَنْ يحتَطِبَ أَحَدُكُم حُزمَةً عَلَى ظَهره، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسأَل أَحَدًا، فَيُعطيَه أَو يمنَعَهُ). [2] (متفقٌ عَلَيْهِ.)

وحديث (كَانَ دَاودُ عليهِ السَّلامُ لا يَأكُل إلا مِن عَملِ يَدِهِ) [3]. (رواه البخاري.)

(١٣) القراءةُ التأملية الجهورية، ذات الأناة العميقة، والذهنية المتوقِّدة:

وهذه خطوةٌ عملية مهمة، تُمارس بعد القراءة السريعة الخاطفة، حيث يعمد الطالبُ إلى كتاب من الستة، ويطالعه بدقة، ويستفتح فيه بحمد الله، ثم يقرأه سرداً بصوت جهوري مرتفع،

---

(١) مسلم(٢٦٩).

(٢)المسند (١٢٩٠٢).

(٣) صحيح البخاري (٢٠٧٩) مسلم(١٥٣٢).

في مكان معزول عن الآخرين كمكتبه، أو حجرته الخاصة أو في حديقه أو شارع، ولا يزعج الآخرين.

وهو بهذه العملية يمارس القراءه بحاستين، النظر الدقيق، والسمع الواعي، بحيث إذا أخلص في استعمالهما أثمرت قراءته فوائد غالية منها :

(١) وعيُ مضامين الكتاب، وموضوعاته، ومشهورات الأخبار فيه.

(٢) توطئةُ لترسيخ الأخبار القصيرة، والكلمات الجامعة.

(٣) تقويمُ اللسان، وإصلاح اعوجاجه، لاسيما مع الطبعات المشكولة.

(٤) تربيةُ النفس على التأمل والاستذكار، وتدقيق الأخبار.

(٥) اعتيادُ الأسانيد ونطق أسامي الراوه، لا سيما لمن التزم الأصول، وداوم عليها.

وهذه القراءة التأملية الجهورية ستنفرجُ على صاحبها بفتوحات علمية، وإلهامات فكرية، بسبب ما أودعه الله من كنوز وأسرار في حديث رسوله صلى الله عليه وسلم، حيث سيلتقى العلم مع المتعة، والوعي مع البهجة، والفقه مع الحياة الطيبة السعيدة والتاريخ مع الواقع المعاش.

ونوصي السالك لهذه القراءة أن يراعي ما يلي:

(١) رفعُ الصوت بالقراءة، وعند الفتور أو النسيان، يكرر المعاودة بحيث تنعدم السرية في القراءة.

(٢) الجدية في السير، وعدم التهاون أو الاستضعاف.

(٣) قطعُ العشرات من الصفحات، بحيث يعكف الوقت الطويل، والزمن البهيج رافعا صوته ومطالعا بكل همة وإصرار.

(٤) استعمالُ القلم الرصاص، بالتخطيط على المواضع المهمة، والكلمات الحسنة، والعبارات الجاذبة، والمبهجة، حتى يكتمل الوعي، وتصدق الاستفادة.

(٥) التقييدُ الهامشي للآثار المحتاج إليها، من حكم وأمثال، وأدعيةٍ وأذكار، حيث تثبت بالتقييد، ويُعرف المصدر والمضمون.

(١٤) صياغةُ السنن الثابتات دعوياً ووعظياً وفكرياً، بحيث تتحولُ إلى شكل توجيهي محاضري، يسمى (المحاضرة الحديثية):

حيث يحاول الطالب الحديثي أن يجعل من النص النبوي موعظة دعوية بالتحليل والإبانة والشرح، واستخراج الفوائد والدروس، وفي ذلك من الفوائد:

(١) إشاعةٌ للحديث النبوي، وإبرازٌ لسنة عظيمة بين الناس.

(٢) القدرةُ على التحليل والتأمل والاستنباط.

(٣) إعمالُ السنة في حياة الناس، وتذكيرهم بها، وأنها متصلةٌ بشئون حياتهم.

وقد كتب العبد الفقير رسالة صغيرة أسماها (المحاضرة الحديثية) تقدمت الإشارة إليها تقريبا ، بين منها هذا اللون من الفن الدعوي والإضافة الوعظية : الجميلة ، وقد نُشرت الكترونياً بحمد الله ورحمته.

فعلى سبيل المثال :

قوله : (الصلاة نور) (البر حسن الخلق) (من يتصبر يصبره الله) (الصبر ضياء) (الحج المبرور) (الصيام جنة) (يامعشر الشباب) (كفارة لما بينهما) (سبق المفردون) (احفظ الله يحفظك) (ليس الشديد

بالصُّرَعة) (أحاسنكم أخلاقاً)) (إن من إجلال الله) (الناس كإبل مائة) وغيرها.

وهذه النصوصُ وأشباهها يمكن لها صناعة خط دعوي ووعظي، ومسار فكري معين، بحيث تؤدي رسالة إصلاحية، دافعة للناس للعمل والتفكير والتغيير

وهذه الخطوة المنهجية في القراءة الحديثية لم أرَ من نبه عليها ! إلا بعض اللمحات المحدودة في كتب الشروح، وأتمنى أن تشرح مختصرات الصحيحين بهذه الطريقة الدعوية التربوية، التي تتجاوز الحديث الفقهي واللغوي إلى التربوي التوجيهي، وتركز على مزيد من الإيماء الفكري والدلالي المعاصر.

وندعو شراحَ كتب الحديث والسنن أن يسلكوا أحياناً في شروحاتهم هذا الضرب من الكلام، كما صنع ابن رجب في جامع العلوم والحكم، علم مثبوت بموعظة وترقيق، ويستفادُ في ذلك

من الأئمة كالنووى والغزالي وابن حجر وابن تيمية وابن القيم وغيرهم من أرباب الروح والسلوك.

لأن الطلاب المبتدئين قد لا يفقهون هذه الطريقة ، إلا بعد تجاوز المقدمة الأولية من التتلمذ، لكنني أدعوهم إلى ما يلي :

(١) مطالعةُ أسلوب ابن رجب في جامع العلوم والحِكم وأجزائه الحديثية الأخرى، ومحاولة محاكاتها.

(٢) تعيينُ أحاديث مختاره، ثم محاولة شرحها بالعودة إلى كتب الشروح كالفتح والمنهاج الفيض والأرشاد والمرقاة والفتح الرباني، ثم صياغتها صياغة وعظية تربوية موشاة بالحكم والآثار والقصص والمستظرفات ، والعبر والأشعار الدائرة في الوعاء النبوي.

(٣) الإدامةُ التأملية، والتدقيقية للنصوص النبوية، والتدرب على تحليلها واستخراج كنوزها وذخائرها.

ومع هذه الدربة والاستمرارية التأملية ، سيتعلمُ الطالب كيف يشرح الآثار ويجعلها ميدانَ حديثه ووعظه وتذكيره . أضف إلى المسحة الموضوعية والجمالية التي سيحظى بها عند حسن العرض والتطبيق والاستدلال، لأن الدوران حول النص والاستدلال به وحفظه تميزٌ علمي يفوق صاحب الإنشائيات الفارغة والسرديات المجوفة، والله المستعان.

(١٥) البحثُ الفقهي الحديثي المتناول لمسائل علمية في الستة، وأحاديث نبوية مشكلة واسعة التفسير:

وهذه الخطوة صالحة لمعدي الأبحاث ومحترفي الكتابة، من يجدون فيها سلوتهم وغذاءهم المعرفي، فإنهم إن قصروا في القراءة والحفظ، تجدهم لامعين ومتعمقين في البحث والبقر والتنقيب، وسينجزون في أسبوع ما ينجزه شخص في شهر،

ويستطيع بعضهم بحثَ مسأله وتفكيكها في يوم واحد، وهذه موهبة يؤتيها الله تعالى لبعض عباده.

فكما يوجد قراء، نهمون، يوجد بحّاثون غواصون، يخترقون المضايق، ويشقون المصاعب، بكل حزم وجد وإصرار. ومع اتساع عالم الحاسوب التراثي، وسعة المواقع الإسلامية ، لا الأمر ميسورا بحمد الله .

ومع مرور الأيام سيملكون أدوات الجمع والبحث، وحسن الصياغة والعرض، وحذق النقاش والترجيح.

وهذه الأبحاث العلمية تتناول :

(ا) مسائلَ فقهية أحكامية، تمسُّ العبادات أو المعاملات تحوز مثلاً: حكم البسملة في الوضوء، أو طهاره بول الصبي أو نجاسته، وحكم صلاة الجماعة والفاتحة في الجهرية ، ومكان سجود السهو وعلة الربا في الأصناف الستة، وهلم جراً،

ويستطيع الباحث استخراج مسائل وبحث نصوصها من الكتب الستة أولاً ثم ماعداها ثانياً.

(٢) أحاديثُ مشكلة نحو حديث (إنه لا يخفى عليَّ قيامكم وخشوعكم إني لأراكم من وراء ظهري) في الصحيحين ، وحديث (رب كاسيةٍ في الدنيا عارية في الآخرة).

(٣) موضوعات عامة أو ما يسمى بالحديث الموضوعي المعني بمفردة أو معنى مخصوص نحو : معاني التوحيد في الأحاديث والصبر، والصدق، والأمانة، وأهل الكتاب وأسباب النصر والتمكين، وأشباهها، ومثل هذه البحوث ستجعل الباحث يجرد الكتب الستة ويتأملها، ويطالع الكثير منها التي سترسخ بالبحث، وستفجر له أفكاراً وموضوعات مشابهة، وتكسر حاجز الصعوبة والاستبقال.

(٤) قضايا فكرية وعصرية، بكثير الكلام فيها هذه الأيام، يستطيع تأصيل رؤوس مسائلها من خلال السنة النبوية نحو :قضايا الأمن، والبيئة والمجتمع المدني، والإصلاح الفكري والسياسي، والطب الوقائي، وحرية التعبير والمشاركة ، والشورى والمواطنة وقضايا الحرب والسلم، والجهاد والمقاومة، وعلاج الفقر والبطالة، والتطرف، ومواجهة الأفكار الباطلة والهدامة، وأشباهها مما يشاع هذه الأيام من نوازل ومستجدات. يجمعها جمعاً حسناً، ثم يعلقها، ويخرجها في نمط بحثي وفق نهج أهل السنة والجماعة .

والباحثُ المؤهل هنا يحتاج إلى عدة عوامل :

الأول : الجردُ السريع للأمهات الست وحسن الجمع والترتيب.

الثاني : النباهةُ العقلية، وحسنُ استخراج الشواهد المطلوبة بلا تكلف أو استثقال.

الثالـث : التأمـلُ الـدقيق للسـنة المختـارة والمـرور عليهـا جيئـة وذهابا، وفقاهة تنزيلها على الواقع.

وهذه البحوثُ مفيدة في كونها:

أولاً: تقربُ المسلم للسنة والآثار

وثانياً : توجد حلاً لبعض المشكلات،

وثالثاً : تعمق السنة فكرياً، وواقعيا،

ورابعاً : ترد على من يريد جعل الاسلام روحانياً مسـجدياً، وأنـه لا علاقة له بقضايا العصر المستجده،

وخامسـاً : تـدفع بالسـنة فـي الإصـلاح الحضـاري والإجتمـاعي، وتقديم الحلول المناسبة لمشكلات العصر ، كما هو اعتقادنا في ديننا وإسلامنا .

(١٦) الاستماع الصوتي المتوالي للمتون الحديثية وشروحها وقضاياها الاصطلاحية:

حيث باتت المواد الصوتية متاحة في النت والفضائيات والتسجيلات الإسلامية وهي نعمة عظيمة من المولى تعالى، ولا شك أن تكرار استماعها أوقات الراحة والنشاط، سيضاعفُ الميول الحديثية، وسينشئها عند انعدام الرغبة، وينير مكانة البحث والتساؤلات، وسيهونُ من صعوبة اللغة الإسنادية والإصطلاحية، التي ينفر منها بعض التلاميذ.

ومن يدقق السماع العلمي، والحديثي على الخصوص، سيجد أنه لا ينفك عنه ويستطيبه على كل حال في البيت والسيارة وعند النوم، وأوقات الراحة والاسترخاء.

وقد كان هذا وسيلة لتلقي العلم في السابقين، فقد كان المجد ابن تيمية رحمه الله جد شيخ الاسلام، وصاحب (منتقى الأخبار) إذا ذهب لقضاء الحاجة أمر شخصاً أن يقرأ عليه من كتاب[1].

وهذا يتعلم منه فائدتان :

(١) تحصيلُ العلم بالاستماع.

(٢) صيانة الأوقات والحفاظ عليها.

فيمكن للطالب الجاد أن يستمع وقت قضاء الحاجة، وعلى الطعام وأثناء القراءة في المنتديات، وعبر الجوال في الأوقات المناسبة.

وفائدة الاستماع الحديثي مايلي :-

١) اعتيادُ اللغة الحديثية واستسهال مضامينها.

٢) تثبيتُ بعض القواعد والأسماء والمصطلحات التي تحتاج لمزيد التكرار والعناية.

[1] روضة المحبين لابن القيم ص(٥١).

٣) كسر حاجز الرعب الاسنادي لمن يتردد في تعلم علوم الحديث.

٤) إشعالُ فتيل الهمة الحديثية المتطلعة للجد والبحث والتحصيل.

٥) المحافظةُ على الوقت وتقدير عظيم عائدته، وأثره على المرء المعتني به وكما قال الوزير ابن هيبرة رحمه الله :

والوقت أنفسُ ما عُنيتَ بحفظه ** وأراه أسهلَ ما عليك يضيعُ

٦) تحصيلُ علمي نادر يسترخصه كثير من الناس ،قد يتجاوز أثر الاطلاع، ويحدثُ في النفس قصوراً من المعرفة، وأنهاراً من العلم والاتقان، وتلصق معه نصوص وكتوم فريدة .

ومن جرب (عائدة الاستماع)، لن يسلوَ عنه، وسيضن بالوقت، ويتأسف على ضياع أوقات المسلمين، وخصوصاً بعض الصالحين، والمنتسبين للعلم الشرعي، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فالسامي المتطلع للحديث، يقدر أن يستمع للمتون الحديثية عبر الأجهزة الحديثة وهو مضطجعٌ، ويتدرب على ذلك كثيراً إلى أن يصيرَ أمراً مألوفاً، وبعده، سيدعوه ذلك إلى اقتناء الكتب وقراءتها والنظر فيها، وحضور مجالس المحدثين.

كم من علم شديد، صعب، يهونه التكرار والإصرار، وتصير بعد الممارسة والاعتياد شربة ماء، ونسمة هواء، ألا ترى الأئمة العظام، كيف سهل الله لهم العلم، وألانَ لهم عسرها وأذهب حزونتها، وقد قالوا في الإمام أبي داود السجستاني رحمه الله (ألين له الحديث كما ألين لداود الحديد) (١).وهي عبارة تستحق منا الوقوف وإبراز مايلي:

(١) صعوبة علم الحديث وكثرة المشاق فيه.

(٢) ضرورةُ تفويض الأمر إلى الله وسؤاله الفتح والتسيير.

---

(١) شرح سنن أبي داود ١ / ١١٢

(٣) تلينُ الصعاب بفضل الله، ثم بجهد المرء، وحرصه وإخلاصه.

(٤) أن الليونة العلمية تعني برودةَ العلم على صاحبة برداً وسلاماً، وجنة وهناءً، وهذا قد وقع لكثيرين ، كأبي داود وأصحاب الكتب والستة بل كثير من المحدثين والفقهاء واللغويين.

(١٧) الذاكرةُ الواعية والاستيعاب الضبطي للمتون المختاره، والمختصرات الدانية، والأسانيد المشهورة:

يهبُ الله تعالى لبعض الطلاب ذواكر حافظةّ، وأذهان حاوية، لا تأتى على شيئ إلا التهمته، وصار في حوزتها، تردده متى شاءت. وهؤلاء يجب عليهم أن يقدروا حق هذه النعمة ، ويسارعوا إلى استثمارها في ضبط المتون الشرعية، وأجلها بعد القرآن حفظ الأحاديث، والدلائل المشهورة عبر المختصرات للسنة أو كتب الجوامع كعمدة الأحكام وبلوغ المرام أو مشكاة المصابيح ورياض الصالحين وغيرها من المختصرات الجوامع المشهورة.

ستكونُ هذه النافذة الحفظية للكتب المختصره وسيلة اختراق وبلوغ مقصد، للكتب الستة، يتمكنُ التلميذ من خلالها حفظَ المتون والاستشهاد بها، والحرص على فهم معانيها، ووعي ثبوتها، التي هي دواع يورثها الحفظ السريع للكتب المشهورة.

ومن المؤسف أن بعضَ هؤلاء يضعون تلك الحوافظ والأذهان، ولا يهتمون بها، وربما صرفوها إلى ثقافة غثة أو معلومات زائفة، وأفكار خاوية، لا تسمن ولا تغني من جوع!

وعلى مشايخ الحديث إذا لحظوا مثل هؤلاء الحفظة الضابطين، أن يعظوهم بالإقبال على المتون النبوية، والتي ستحقق لهم مفاتيح العلم، وخزائن المعرفة التي منها :

(١) حيازةُ أصول الفضائل والأحكام والآداب ،،التي هي مدار حياة الإنسان وسلوكه، ويتم السؤال عنها بشكل دائم.

(٢) امتلاكُ ناصية الاحتجاج والاستدلال العلمي بمثلِ تلك النصوص.

(٣) التشوقُ إلى معرفة معانيها وثبوتها من خلال كتب الشروح والتخريج والأسانيد والعلل، التي هي بوابة إلى وعي علم الحديث ومصطلحاته.

(٤) حذقُ السنة، والسعي المبكر إلى تطبيقها، الذي هو صلبُ المحبة النبوية، ولب الاتباع الصادق، قال تعالى : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) (آل عمران : ٣١).

والأئمة أربابُ الكتب الستة، كانوا ذوي أذهان ثاقبة وذاكرات واعية، منذ نعومة أظفارهم، استغلوها في حفظ السنة وحفظ الأسانيد، ثم كتبوا تلك الكتب التي باتت نقوشاً ذهبية على جبين الدهر، ومعالم زاهرة على درب المعرفة والتحصيل.

قال الشيخ عبد الحي الكتاني – رحمه الله – : " وقال البخاري : أحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتي ألف حديث غير صحيح ، وقال مسلم : صنفتُ هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث انتخبت منها ما ضمنته كتاب " السنن " ، وقال الحاكم في " المدخل " : كان الواحد من الحفاظ يحفظ خمسمائة ألف حديث ، سمعت أبا

جعفر الرازي يقول : سمعت أبا عبد الله بن وارة يقول : كنت عند إسحاق بن إبراهيم بنيسابور فقال رجل من أهل العراق : سمعتُ أحمد بن حنبل يقول : صح من الحديث سبعمائة ألف وهذا الفتى – يعني : أبا زرعة - قد حفظ سبعمائة .

قال البيهقي رحمه الله : أراد : ما صح من الأحاديث وأقاويل الصحابة والتابعين .

قلت : رحم الله الحافظ البيهقي فقد أزال عن القلب غمة ورفع عن الدين أكبر وصمة بهذه الإفادة التي شرح فيها هذه المقالة ؛ فإن كثيراً من المتفقهين الآن يقولون : مع تكفل الله بالدين أين هذا المقدار من السنَّة الآن فهل لم يدوَّن ؟ فبيَّن البيهقي أن مرادهم بهذه الأعداد العظيمة ما يشمل السنَّة وآثار الصحابة والتابعين ، أو أنهم كانوا يريدون طرق الحديث المتنوعة ، فيجعلون كل طريق حديثاً ، وكل حديث له طرق وروايات ؛

فمرادهم بهذا العدد العديد : طرق الحديث الواحد العديدة ورواياته المتنوعة ، وقد يكون الحديث واحداً ولكن باعتبار طرقه واختلاف ألفاظه وتعدد من رواه يعدُّ الحديث الواحد بالمائة ، لأنهم كانوا يقولون : لو لم نكتب الحديث من عشرين وجهاً ما عرفناه " انتهى ".[1] (١)

قال الإمام الذهبي – رحمه الله – : " قال عبد الله بن أحمد : قال لي أبو زرعة : أبوك يحفظ ألف ألف حديث ، فقيل له : وما يدريك ؟ قال : ذاكرتُه فأخذت عليه الأبواب .

فهذه حكاية صحيحة في سعة علم أبي عبد الله ، وكانوا يعدُّون في ذلك المكرر ، والأثر ، وفتوى التابعي ، وما فسر ، ونحو ذلك ، وإلا فالمتون المرفوعة القوية لا تبلغ عُشر معشار ذلك "[2].

---

(١) كتاب التراتيب الإدارية = نظام الحكومة النبوية ،عبد الحي الكتاني ، ٢/ ٢٠٤

(٢) سير أعلام النبلاء، ١١/ ١٨٧

وفي حياتنا المعاصرة يعمدُ بعضُ الحفاظ إلى ضبط بلوغ المرام أو رياض الصالحين، وهذا حسن، ولكن بإمكان الجهد الحديثي المنظم، أن يعمدَ إلى كتب خاصة بالستة كمجاميع الفضائل والأحكام والمطولات ، ويقربها كمحفوظات للطلاب.

أو تعمل (دورات علمية) صارمة ، كدورات حفظ الصحيحين والسنة، التي يتبناها الشيخ الفاضل يحيى اليحيى وبعض معاونيه، وأحدثت تقدمات مذهلة على مستوى حفظ السنة والعناية بها وتطبيقها، وحفر الهمم، واستثمار الطاقات، وهي جهد مؤسسي مشكور يحتاج بعد هذه المدة الطويلة التي تجاوزت الخمس عشرة سنة لمزيد من التقويم والمراجعة والاستفادة من كل الأفكار والطروحات.

وحبذا لو سلك هذا المنهج في مناطق أخرى ودول إسلامية بمثلِ تلك الرعاية والجودة والحزم، مع تجاوز للأخطاء السالفة.

إن دورة الشيخ يحي اليحيى وفقه الله، تميزت بكونها تجعل التلاميذ عاكفين، وملزمينَ شهراً أو أكثر (للاعتكاف العلمي) المشدد الذي يصنع طاقاتهم، ويحرك ذوا كرهم، للجد والفيض والعطاء، وهذا يجعلها تفوق الجوائز الأخرى، التي ننتظر تقدم الطلاب للاختبار فحسب، بل إنها ترعاهم وتكلؤهم إيمانيا واخلاقيا ، وتدربهم وتختبرهم لمرات تلو المرات لتصنع (الطالب الجاد) الذي يعيش للضبط والاتقان، وتسر السنة والإيمان وجزاهم الله خيراً على حرصهم التام، وأكثرَ من أمثالهم المنتصرين للسنة والآثار.

(١٨) الجهدُ المؤسسي للكليات والمعاهد والسنية المختصة، والهيئات والمؤسسات المهتمة بقضايا السنة والدفاع عنها :

قد يبدأ الاهتمام الحديثي بتأسيس خزانة كتب، ثم مكتبة عامرة، ينتج عنها نواة حديثية، ثم دروس حديثية جذابة، يليها معهد، أو كلية حديثية تحفظ، المتون وتقرب السنة، وتفك الأسرار، وتصنع العمق الحديثي المنشود.

نحن هنا لا نحلم، ولكنها الحقيقة، لدينا كليات شرعية عامة، ونستطيع تأسيس كلية حديثية، تختص بتدريس السنة، وقضاياها وتكون برامجها (البرنامج الضبطي) المعتني ابتداءً بالأمهات الست.

"الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة لديها (كلية الحديث) بإمكاننا أن نستفيد من تجربتهم، ونقوم على تطويرها، واستنساخها في أماكن كثيرة ، وفي بلادنا المباركة عموما

جهود مشكورة في خدمة السنة طباعةً ونشرًا وتدريسًا ، بوركت الجهود والمساعي ..

فكرة (الكلية الحديثية) فكرة جوهرية لنشر السنة، وتعميق جذورها في الأمة والنشء، ومع اتساع (مؤسسة المجتمع الأهلي) في المجتمعات الإسلامية، ستسهل تصميم مثل هذه الفكرة الهامة، ولكننا للأسف، لا نفكر ونخطط، إلا بعد حصول المشكلة.

فمثلاً لم تنشأ عندنا منظمات للسنة ونصرة رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا بعد أزمة الرسوم الدنماركية !!

الكليات الشرعية المنتشرة في شرق الأمة وغربها لايزال دورها الحديثي التأسيسي والدفاعي والحضاري محدوداً، مقارنة بما تملكه من طاقات ومؤهلات.

ولكن الهم مفقود، والروتين التقليدي راسخ (منهج ومذاكرة، ونجاح ورسوب)!! والمطلوب خطوة أولى للإصلاح الحديثي، وليكن البدء ببرامج تحفيظ السنن كالأربعين النووية، ثم عمدة الأحكام ،فالمختصر للزبيدي والمنذري، وتعتمد الكتب الستة ،ويشرف عليها الأساتذة المختصون.

أقسام السنة والحديث، في الكليات الشرعية، ليس لديها الأنشطة الحديثية الفاعلة، بعضها لا يكاد يُذكر، لم تتحرك علميًا تجاه أزمة الرسوم المسيئة، فضلاً عن أن تقوم بواجبها الحديثي، تجاه الأمة والشباب، أو تؤسس دورات حديثية تحفيظية، وتفقيهية للتلاميذ، هذه هموم أبثها بين يدي إخواني حملة الحديث، والمدرسين فيه، في الكليات الشرعية، ليراجعوا أنفسهم وبرامجهم، ويحيوا الهم الحديثي من جديد، وليكن البدء (بالبرنامج التحفيظي) الذي يتدرج في تحفيظ المتون على الشباب

الإسلامي، ولا شك أن في ذلك من عملية الإحياء والبعث والتجديد والبناء السني المنظم، ما لا يخفى! فأين المبادرة، وأين التآزرُ والتفاني ؟!!

وحينما ندركُ أن انضمام الطالب إلى مثل تلك الكليات، والدورات التحفيظية، سيجعله طالب حديث، وسيعيده للستة، وللتسعة، وآثارها، وسيعلي معالم السنن، ويضيق على البدع والخرافات، سنبادر عندئذ إذا امتلكنا الهم والإرادة، وحققنا قدراً مرتفعاً من التآزر والتعاون الإسلامي المطلوب، والله الموفق والمعين.

لماذا فينا صار حافظ مختصر البخاري، أو عمدة الأحكام مميزاً، رغم قلة عددها، وضخامة قدرات الشباب ؟! ما ذاك إلا بسبب انحطاط الهمم، وضعف الأمة، وهوان الدور الحديثي للكليات، والأقسام الحديثية، والتزهيد في شأن الحفظ النصي للمتون، رغم أن الحفَظة أئمة كَمَلة، إذا نصحوا وأخلصوا، وقد تجد واعظًا

يهون من شأن الحفظ وأنه تكرار لنسخ بلا جدوى، أو الجدوى بزعمه في تخليطاته الإنشائية، وشواذه التاريخية !! يا للعجب إن الحفظ مفتاح للعلم، وحافظ للبخاري أو الترمذي، صعد درجةً راقية في العلم، ولكنها درجات ودرجات من الوعي، وحسن التفقه، وصدق العمل، وإحياء الأثر، والنشر والدعوة، والمشاركة الإصلاحية إذ لا ندعوا لحفظة منغلقين، بل نريد فقهاً للنصوص، وإحياءً للسنن، ودعوة إلى الهدى، وفاعلية حضارية لتلك الكنوز والمورثات، التي لو كانت لأمة سوانا لتفانت في حبها والتشبث بها، واتخذت منها سُرُجاً وأعياداً ولكن إلى الله المشتكى، وهو ناصرنا ونعم المولى ونعم النصير.

تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه ، جعلنا الله وإياكم من أنصار دينه وسنة نبيه ، إنه جواد كريم ...!